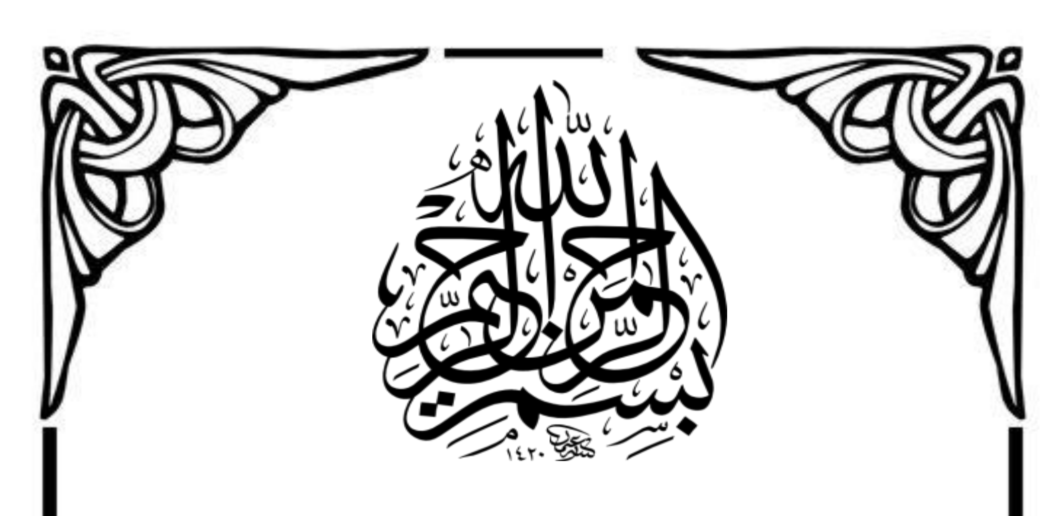


في فضائل الأعمال

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري



أحسن الأقوال

في فضائل الأعمال

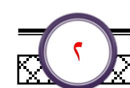
الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزَّعكري.





بسم الله الرحمن الرحيم

فضل الإسلام

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، ونعوذُ بِاَللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أن لاَ إلَهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لاَ شرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكل بِدْعَةٍ ضَلالَة، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾ [سورة الأنعام:١٣٤].

عباد الله في هذا اليوم الأول من رمضان لعام (١٤٤٤هـ)، نتكلم عن بعض فضائل الأعمال؛ لما في ذلك من المصالح، حيث تشحذ الهمم، وتقوىٰ العزائم ويعلم المسلم بعظيم ما هو عليه من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ فيزداد اجتهاده ويزداد حرصه علىٰ الخير، ألا وإن أفضل الأعمال لهو الدخول في الإسلام قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة:٣].

فالإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

الإسلام كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [سورة البقرة:٢٠٨] أي: ادخلوا في الإسلام من جميع جوانبه، في واجباتِهِ، ومستحباته، والبُعد عن المحرمات، والمكروهات.

والإسلام قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهُ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [سورة آل عمران:٨٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [سورة آل عمران:١٩].



إذًا الإسلام بمعناه ينقسم إلى قسمين:

المعنى العام هو: دين جميع الرسل إذ أن نوح عليه السلام بُعثَ بالسلام وهكذا إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وأما الإسلام بمعناها الخاص فهو: الدين الذي أنزله الله وأوحاه إلىٰ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهذا الإسلام لا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من أحدٍ دينا بعد مبعث محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلا بالدخول فيه، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفْسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يسمعُ بِي أحدٌ من هذه الأمةِ، لا يهودِيٌّ، و لا نصرانِيٌّ، ثُمَّ يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كان من أصحابِ النارِ**»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* **الإسلام من رضيهُ ذاق طعم الإيمان**، كما في حديث العباس بن عبد المطلب قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رسولًا ونبيًا**».

* **الإسلام لا يدخل الجنة إلا أهله**، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة**»، أو كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

* **الإسلام هو أهله الذين يجوزون الصراط**، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ولا يجوزه إلا المسلمون**» أي: الصراط.

❊ **الإسلام أهلهُ أفضل الناس وأفضل الأمم**، فعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**».

المسلم ثقيل في الميزان: كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن عبدالله بن مسعود حينما ضحكوا من دقة ساقية: «**لهما في الميزان أثقل من أحُد**»، بينما الكافر خفيفًا بالميزان قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [سورة الكهف:١٠٥]، وفي الحديث: «**يؤتى بالرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضة**» نعم أي: الكافر لا يزن عند الله جناح بعوضة.

❊ **الإسلام دين الكرامة**، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٣] أي: من تمسك بالإسلام وأخذ بهدى النبي عليه الصلاة والسلام.

❊ **الإسلام هو الدين المنصور**، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيده لا يبقينَ بيت من العربِ أو العجم إلا أدخل اللهُ فيهِ**

الإسلام بعز عزيزًا أو بذل ذليلًا إما بعزً يعزهُ الله عَزَّوَجَلَّ بهِ أهل طاعته و إما بذل يذل الله عَزَّوَجَلَّ بهِ أهل معصيته».

* الإسلام بشرهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالنصر و الظهور، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله و هم ظاهرون»، متفق عليه عن معاوية وجاء عن غيرهِ رضوان الله عليهم.

* الإسلام قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لأمتهِ: «بشر هذهِ الأمة بالنصر والسناء والعز والتمكين»، إلىٰ غير ذلكَ من الأدلة.

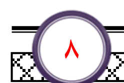
* الإسلام يبقىٰ عزيزًا منيعًا إلىٰ أن يرث الله عَزَّوَجَلَّ الأرضَ ومن عليها، «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»، هكذا يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في معناه، وأدلة الإسلام كثيرة لو لم يكن إلا أنه دين الله في السماء والأرض، لو لم يكن إلا أن الله بعث فيه جميع الأنبياء والمرسلين، لو لم يكن إلا أن الله أعد لأهله الجِنان وأعد للكافرين النيران، لو لم يكن إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ يرضىٰ عن أهله ويكرمهم بالكرامات العظيمة، لو لم يكن إلا أنه يعصم الله عَزَّوَجَلَّ به الدم، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».



فهنيئًا للمسلمين كيف كانوا، إلا أن المسلم إذا كان من المشمرين والمبادرين إلىٰ طاعة رب العالمين فأجره أعظم، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ [سورة آل عمران:٣١]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، أخرجه البخاري.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتوفانا مسلمين وأن يلحقنا بالصالحين.





فضل التوحيد

فمن الأعمال الفضيلة التي يتقرب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: (التوحيد)؛ فهو أفضل الأعمال وهو داخل في الإسلام، إلا أننا نفرده بالكلام لأهميته.

وعن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أحمد قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». أخرجه أبو داود عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

وفي صحيح الترمذي: عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: "فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**»، لا يثقل مع اسم الله مع توحيده

شيء من الأعمال، ولهذا هذه الحسنة لا يبطلها عمل إلا الشرك بالله، وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ للعبد حسنة التوحيد، لا تؤخذ عليه لا من قريب ولا من بعيد، بخلاف حسنات بقية العبادات، إذا كان ظالمًا إذا كان غاشمًا إذا كان آخذًا لأموال الناس، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

والتوحيد بعث الله عَزَّوَجَلَّ به جميع الرسل لفضله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦].

ومن فضل التوحيد أن جعله الله عَزَّوَجَلَّ حق الله علىٰ العبيد، كما في حديث معاذ بن جبل، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». متفق عليه.

والتوحيد مبدأ الدعوة؛ ولهذا لما أرسل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن قال: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ»، وفي رواية: «أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»، وفي رواية: «فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ».

والتوحيد يعصم الدم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

والموحد أحق الناس بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». رواه البخاري.

والموحد حرمه الله عَزَّ وَجَلَّ على النار، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»، أخرجه مسلم.

والموحد وكامل التوحيد موعود بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب، عِمْرَانُ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ"، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». أخرجه مسلم.

نعم عباد الله، فعلينا أن نحقق التوحيد فهو أعظم حسنة وأفضل وأبرك حسنة، وأعظم طاعة يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بها، وما خلق الله الجنان وزخرفها لأهل الإيمان إلا للموحدين، وما خلق الله للنيران إلا للكافرين الجاحدين لربوبيته، أو الداعين معه غيره، أو المشركين المنددين.

فحققوا التوحيد في أنفسكم وادعوا إليه غيركم بارك الله لكم في أوقاتكم.

* **ووصيتي لإخواني طلاب العلم:** بالاجتهاد في الطلب، وعدم التكاسل والتواني، فنحن في أيام فضيلة يدخلها طلب العلم وغيره، وهكذا وصية للعزاب أن ينعشوا المسجد بقراءة القرآن وبالصلاة وبالدعاء وبالذكر ما يبقىٰ المسجد فارغًا؛ لأن المراكز إنما تنتعش بالعزاب، أما المتزوج أخذ درسه ورجع إلىٰ زوجته، لكن العازب ينبغي له ينعش المسجد بقراءةِ القرآن، وبمدارسة العلم وبحضور الخير، وبالمسارعة إلىٰ الصف الأول وبغير ذلك من الأعمال.

وهكذا سيقوم بتدريسكم بهذه الفترة أخونا المبارك الشيخ محمد العزازي حفظه الله علىٰ عادته في درس الظهر ودرس العصر فإن شاء الله خطبة الجمعة القادمة وأنا بين أظهركم أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا

وإياكم لطاعته ومرضاته ونستودعكم الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم.

والنصيحة: الإقبال علىٰ ما أنتم عليه سواءً كنت موجود أو غائبًا، حاضرًا أم ذاهبًا فأنتم في خير عظيم فعمروا الليل بالقيام وعمروا النهار بالصيام وأكثروا من قراءة القرآن.

وهكذا الإخوة الذين هم في المسجد ينتبهون للأطفال لا يزعجون المصلين مع الرفق بهم انتباه بدون غلظة، وهكذا العناية بإخواني الصائمين في طعامهم في شرابهم في كل ما يلزمهم لا يقصر عليهم في شيء وليحتسب الإخوة الذين يطبخون الطعام يحتسبون الأجور، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»، فلهم أجور عظيمة؛ حتىٰ ذكر **الشيخ الفوزان**: أن المراءةَ في طباختها لزوجها ولضيوفهم تعتبر من العابدات.

فلنحتسب جميعًا ما نحنُ فيه من الخير ولنستمر علىٰ ما نحنُ فيه من الخير وندعو لأنفسنا ولأبنائنا ولمشايخنا وندعو لجيراننا، ونلازم الرفق مع بعضنا، وأسال الله عَزَّوَجَلَّ لي ولكم التوفيق والسداد واعذروني علىٰ الإطالة في هذا الوقت لكن أردت أن آخذ وِردِنا في اليوم من الدروس حتىٰ لا ننقطع عنه، والله المستعان، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

التمسك بالسُنة والانقياد لها

فإن من أفضل الأعمال: السُنة والتمسك بها والانقياد لها، والأدلةُ علىٰ فضلها كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع والنظر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، فمن كان يرجو ثواب الله ويرجو صلاح الآخرة فليكن متأسيًا مقتديًا بمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران:٣١].

فمن رامَ مغفرة الذنب وستر العيب وتفريج الكرب، ورام الوصول إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ فليكن متبعًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأقسم الله وقوله الحق بدون قسم فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء:٦٥]. أي: يقع منهم الانقياد لسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا وباطنًا، في أدلة كثيرة.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا﴾ [سورة البقرة:١٣٧]، ويدخل به ابتداءًا ما آمن به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة

البقرة:١٣٧]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة النساء:٥٩]، في آيات، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [سورة النساء:٨٠].

ومن السنة؛ قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، أخرجه البخاري.

وفي "الصحيحين": عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وفي لفظ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

وفي" الصحيح": عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: "جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ، «فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ ».

وجاء عند الترمذي وغيره: عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

ففي السُنة السلامة من الفتن، والسلامة من المحن، والسلامة من العطب.

وهكذا في آثار السلف: يقول أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (إني أخشىٰ إن غيرت شيئًا مما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن أزيغ).

ويقول عبد الله بن مسعود: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

وكم هي الآثار الجميلة في وجوب ملازمة السنة قولًا وفعلًا من الصحابة رضوان الله عليهم.

وكان ابن عمر إذا سئل عن شيء من الشأن قال: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، رأيت رسول الله صنع كذا وفعل كذا).

وأبو عبد الله يقول له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي». فما زال على ذلك، يرجو أن يلقى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ملتزمًا بما أمر وبما شرع ومبتعدًا عما نهى عنه وزجر ومنع.

وهكذا النظر مما يدل على فضيلة السُنة أن الله لا يقبل العمل إلا بشرط الإخلاص، وشرط السنة.

هذه من أعظم الأدلة على وجوب التمسك بها وفضل هذه الشعيرة العظيمة، فلا يقبل الله من عمل عملًا مهما كان العمل إلا إذا كان على وفق الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، ووفق المتابعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلذلك قال الإمام أحمد: (عباد أهل البدعة أعداء الله، وفساق أهل السُنة أولياء الله)؛ لأنهم أخذوا بطريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في اعتقاداتهم في أفعالهم، وإن وقع منهم شيء من المعاصي، فيرجى أن يتجاوز الله عنهم، لسبب ملازمة السنة، أو قد يؤاخذ بشيء من العذاب ثم يكون مآلهم إلى الجنة، والله المستعان.



الصلاة على وقتها

ومن أفضل الأعمال: الصلاة؛ إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ فرضها علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، حين رفعه فوق السماوات إلىٰ مستوىٰ يسمع فيه صريف الأقلام ولم يكن بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ واسطه في فرضيتها.

ومما يدل على فضلها: أن يؤمر بها الصبي ويُعلَّم مع صِغر سنه وحداثة سنه، ومنها أنها لا تسقط بحال إلا علىٰ مجنون أو حائض أو نفساء وإلا ما دام المسلم عاقلا مميزًا تلزمه الصلاة، ومنها أنه يؤتىٰ بها علىٰ أي حال: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ».

ومنها: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبض وهو يوصي بها: «الصلاة الصلاة»، وما ملكت أيمانكم، ومنها أنه لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنها: أول ما يحاسب به العباد يوم القيامة: الصلاة.

ومنها: أنها تتكرر في كل يوم خمس مرات؛ لمحبة الله لها، هذا في الفريضة أما في النوافل فتستحب في جميع الأوقات، إلا ما كان من أوقات الكراهة الثلاثة المعلومة: حين تزول الشمس، وبعد العصر حتىٰ

تغرب الشمس، وبعد الفجر حتىٰ تطلع الشمس. حتىٰ لا يتأسىٰ بالكفار.

ومنها: أنها تؤدىٰ علىٰ حسب الاستطاعة من استطاع أن يتوضأ لها توضأ، ومن عجز تيمم، ومن عجز صلىٰ علىٰ قدر الاستطاعة لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ومنها: أنها كفارة لما بينها من الذنوب، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ». أخرجه أحمد، وجاء عند مسلم بنحوه.

ومنها: كذلك أنها تضاعف لاسيما في الجماعة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»، متفق عليه.

وفي رواية: «بِبِضْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»، أخرجه ابن خزيمة.

ومنها: أنها تؤدىٰ في الحضر والسفر بخلاف بقية العبادات إلا أن في الحضر تؤدىٰ أربعًا، وفي السفر ركعتين إلا ما كان من صلاة المغرب فتبقىٰ علىٰ أنها ثلاث؛ لأنها وتر النهار وصلاة الفجر ركعتين.

ومنها: أن جميع الرسل والأنبياء تتابعوا علىٰ الأمر بها، بل يقول الله عَزَّوَجَلَّ في شأن إسماعيل: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [سورة

مريم:٥٥]، وإبراهيم لما حزنه شأن زوجته وأخذها الظالم قام إلىٰ الصلاة، وموسىٰ عليه السلام؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَيْتُ - وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ: مَرَرْتُ - عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»، أخرجه مسلم.

وهكذا تتابع الجميع علىٰ هذه العبادة الجليلة العظيمة، فينبغي للمسلم أن يحافظ عليها.

وعن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ». أخرجه أبو داود.

ونُزِعَ مسمىٰ الأخوة عن الذي لا يصلي، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [سورة التوبة:١١]، قال العلماء: مفهومه أن الذي لا يصلي ليس بأخ لنا.

ومما يدل على فضيلتها: أن تاركها من أهل النار، قال تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤﴾ [المرسلات:٤٢-٤٤].

ومما يدل على فضيلتها: أن تاركها كافر، فعن جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»، أخرجه مسلم.

ومما يدل على فضيلتها: ذم الله عَزَّوَجَلَّ لمن ضيعها: ﴿* فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [سورة مريم:٥٩].

ومما يدل على فضيلتها: أن الساهي عنها معرض للوعيد العظيم: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون:٤-٥]، **مفهومه**: أن المحافظين والمداومين علىٰ الصلاة، والمبادرين إلىٰ طاعة الله في هذهِ العبادة الجليلة في جنَّاتٍ مكرمون كما قال الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذكر المصليين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون:١٠-١١]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [سورة المعارج:٣٥] إلىٰ غير ذلك.

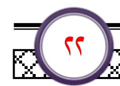
فهي فريضة الله ينبغي للإنسان أن يحافظ عليها ويستبشر من الله عَزَّوَجَلَّ.

مما يدل على فضيلتها: أجور في الطهارة، فلها أجور في الإتيان إليها، وأجور في الرجوع منها، وأجور في الانتظار لها، بل تصلي عليك الملائكة، قالَ النبي اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ

عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللهُمَّ ارْحَمْهُ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ».

وهي قائمة لذكر الله، **كما قال الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [سورة طه:١٤].





الإنفاق في سبيل الله سبحانه

ومن الأعمال الفضيلة التي رغب فيها الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لهُو الإنفاق في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كانت النفقة الزكاة المفروضة الواجبة، التي هي أحد أركان الإسلام الخمسة، أو كانت النفقات الواجبات علىٰ الزوجات، والأبناء والبنات، والآباء والأمهات، ومن في بابهم، أو كانت النفقات المستحبات في أوجه الخيرات؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ قرن الصلاة التي هي حقه بالزكاةِ التي فرضها لحقِ عباده في مواطن كثيرة، وانظر إلىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة:١-٥].

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال:٢-٣].

وقوله: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فذكر منهم المنفقين في أوجه الخيرات والمبرات، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة البقرة:١٧٧].الآية.

فعادة الناس محبة المال، قال تعالىٰ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الفجر:٢٠]، ولكن الإنسان عبدٌ للمال إذا أمسكه والمالُ في تصرفهِ إذا أنفقه:

أنـــت للمـــال إذا أمســـكتهُ ❁ وإذا أنفقتـــهُ فالمـــال لـــك

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «..وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجهَ اللَّه إلاَّ أُجِرْتَ عليها حَتَّى مَا تَجْعلُ فِي فِيِّ امرأَتِكَ»، أخرجه البخاري.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ»، متفق عليه.

فذكر البخيل كلما أمسك كلما اشتدت عليه، والمنفق كلما بسطت عليه حتىٰ تعفو أثره.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ». أخرجه البخاري.

وما من يومًا يُصبح العباد فيه إلا و ملائكة تدعوا للمنفقين وتدعوا علىٰ الممسكين عما يجب عليهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». متفق عليه.

فما زال الناس يتقربون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأنواعِ النفقات فيؤجرون عليها، وما زال كثيرًا منهم يبخلون بما فرض الله عَزَّوَجَلَّ عليهم فيلحقهم الإثم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة ق:٢٣-٢٥]، يعني: منع الخير الذي أعطاهُ الله وأوجب الله عليه.

وفي المقابل حتىٰ الذي لا يأمر بالإنفاق يلحقهُ الإثم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الحاقة:٣٤]، فهو لا يحض علىٰ

طعام المسكين ولا ينفق في أوجه الخير، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [سورة النساء:٣٧]، هؤلاء أيضًا مذمومون فالممدوح هو المنفق في أوجه الخير.

وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». أخرجه أبو داوه وجاء عند مسلم بنحوه.

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»، أخرجه البخاري، وجاء عند مسلم بنحوه.

واليد العلياء: المنفقة، **والسفلىٰ**: الآخذة.

وقد غفر الله عَزَّوَجَلَّ لرجل من بني إسرائيل في شربة ماءٍ أعطاه لكلب قد لحقه العطش؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً،

فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»، متفق عليه.

فإذا كان مثل هذا علىٰ هذا الكلب قد أدىٰ إلىٰ شكر الله عَزَّوَجَلَّ لهذا العبد فكيف بالمنفقين في أوجه الخيرات والمبرات علىٰ الطائعين لله والعابدين الموحدين له .سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وفضيلة النفقة لها أوجه عدة:

منها: أنها قرنت بفضيلة الصلاة.

منها: أنها من مبادئ ما نزل من أوامر الإسلام؛ إذ أن الزكاة فرضة ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في مكة، وأول ما بدئ به في المدينة أن أخذ الزكوات وأنفقها علىٰ المستحقين.

منها: أنها من أركان الإسلام الخمسة.

ومنها: أنها أجمعت عليها جميع الديانات.

ومنها: أنها محبوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فالله من وصفه: (الكرم، والجود، والعطاء)، فيحب من عبده أن يكون كريمًا جوادًا معطاءًا.

ولا يبقىٰ مع الإنسان إلا ما أنفق؛ كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا». أخرجه الترمذي.

ومنها: أن الذي ذهب للمساكين والفقراء والمحتاجين هو الباقي عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينميه ويكثره، قال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام:١٦٠]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦١]، وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٥]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦١]، وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحديد:١١]. وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦٥]، آتت الخير العظيم؛ ولهذا لقب الله عَزَّوَجَلَّ في الإنفاق مما نحب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ

تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦٧].

انفق من الطيب، من مالك وليست النفقات في الأموال فقط، بل في الجاه ابذل جاهك للمسلمين، ابذل وقتك للمسلمين، ابذل علمك للمسلمين، فكل ما كان المرء منفقًا مما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ من قليله وكثيره إلا أخلف الله عليه، قال تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٤٥].

تقرض الله مع أن الله غنىٰ عنك، لكن حين تُعطي المحتاج وتفرج كربة المكروب وتُنفس ما لحق بالمعطوب يُجازيك الله عَزَّوَجَلَّ بالجزاء العظيم، ويخلف الله عَزَّوَجَلَّ عليك في الدنيا والآخرة، بل من النفقات قضاء الحاجات بالدين فإذا أدنت أحدهم كان لك أجر عند الله عَزَّوَجَلَّ، فعن بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ»، قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»، قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ»، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»، قَالَ لَهُ: «بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ

يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»، أخرجه أحمد.

فلو عمل الناس بمثل هذا الحديث ما وقعت بينهم شحنَاء ولا بغضاء من أجل تأخر قضاء الديون، فربما كان لأحدهم ملايين عند أُناسٍ مُعدمين فيكون نائِمًا علىٰ فراشه والصدقات تكتب له، فإذا انقضىٰ الأجل لهُ بضعف ما عند الناس له.

فيا عباد الله !علينا أن نسارع في مرضاة الله بما تيسر حتىٰ بالقليل حتىٰ البصلة؛ كما قال بعض السلف حين سمعَ ما سمعَ من الأحاديث في فضل الصدقة: منها ما قال عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**»، **فقال**: (تصدق ولو ببصلة).

وهكذا النساء، فالمرأة تتصدق من مال زوجها ولهَا أجر، والخازن الأمين لهُ أجر، حتىٰ إهداء الشربة والملعقة والمرقة وغير ذلك فكيف بما تقضىٰ بِهِ الحاجات، يزوج بِهِ العزاب وتبنىٰ بِهِ البيوت، ويشترىٰ بِهِ المراكب، وتقضىٰ بِهِ الديون .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**». أخرجه مسلم.

وهذا يعدُ من الصدقة.

وعن عَدِيِّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَىٰ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» أخرجه مسلم.

أنفقت علىٰ ابْنَتَاهَا علىٰ صغرهما، فأوجب الله لها بفعلها هذا الجنة، فهذا أمر ممدوح.

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ بابًا من أبواب الجنة للمنفقين، وللباذلين لما في أيديهم للمحتاجين، ورُبَّ دينار يغلب ألف دينار .

ذكروا أن بعض الناس اختلفوا في كرم بعض الصحابة فأرسلوا إلىٰ كل واحد من يسألهُ شيئًا فوصلوا عند أحدهم ولهُ مال كثير أعطىٰ مائة وخمسين ألف وهو مبلغ كبير جدًا في ذلك الزمان، ثم وصلوا إلىٰ الثاني فما وجدوا معهُ إلا خمس مائة دينار ناولها فقال لهُ عبده :يا سيدي هذا كثير قال: أعطه وهي التي في أيدينا، ثم ذهبوا إلىٰ بعضهم فما وجدوهُ يملك شيءً إلا ما كان من ذلك المال اليسير فأعطاهم إياه فقيل: دينار

غلب ألف دينار؛ لأن هذا تصدق بجميع ماله، وذاك تصدق ببعض ماله، وذاك تصدق بجزءٍ من ماله.



الصيام

فقد يسر الله عَزَّوَجَلَّ وفرض وشرع للمسلمين: الصيام.

هذهِ العبادة الجليلة التي تقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ حتىٰ قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»، أخرجه مسلم، عن أبي سعيد الخدري.

وجعل الله عَزَّوَجَلَّ **بابًا في الجنة يُقال لهُ**: الريان يدخل منهُ الصائمون لا يدخل منهُ غيرهم.

وقد امتدح الله عَزَّوَجَلَّ الصائمين في مواطن من كتابه وهكذا يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة:١٨٣]، ومن هذا الصيام: صيام رمضان؛ قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ»، أخرجه الترمذي.

وهذا دليل علىٰ أن صيام رمضان وما فيهِ من الأعمال من أسباب تكفير الذنوب والمعاصي.

وما سُميَ رمضان؛ إلا لأنه يربذ الذنوب ويحرقها ويتلفها، وقيل: بأنه سمي رمضان؛ لأن تسمية الشهور كانت في مبدأ الحر: الصيف وهكذا، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَوْمُ الدَّهْرِ». أخرجه أحمد.

وأخبرَ أنهُ يذهب وَحَرَ الصدر، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ» ، أخرجه أحمد.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»،

وكما أخبرَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»، أخرجه مسلم عن أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ». أخرجه مسلم.

وصام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شعبان إلا قليل وقيل: صامهُ كله؛ وهذا لبركة الصيام ولعظيم أجره، أضافه الله إلىٰ نفسه بقولهِ: «كلُّ عَمَل ابن آدَم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجْزِي به»، أضافه إلىٰ نفسه مع أن جميع الأعمال له، الصلاة له، والزكاة له، والحج له، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، ومع ذلك أضاف الصوم إلىٰ نفسه؛ لعظيم أجره وعظيم بركته وعظيم الإخلاص فيه؛ ولأن فيه رقة للقلب واذهاب لما يسبب القسوة والغفلة من كثرة المأكولات والمطعُومات المنكوحات، ونحو ذلك.

فعلىٰ المسلمين أن يستبشروا بمثل هذه الفريضة العظيمة لفضلها العظيم، فهو من أركان الإسلام الخمسة ومن الدين الذي علمناه جبريل عليهِ السلام، والله المستعان.

ومما يدل على فضيلته: أن الله فرض الصيام علىٰ جميع الأديان إلا أنهم غيروا وبدلوا وبقي أهل الإسلام علىٰ فريضة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



الحج والعمرة

ومن الأعمال الفضيلة: (الحج والعمرة)؛ إذ أن الحج من أركان الإسلام الخمسة، ومعلوم فضل هذهِ الأركان إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ فرض الحج في العمر مرة لمن استطاع إليه سبيلًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [سورة آل عمران:٩٧].

والاستطاعة: الزاد، والراحلة، وأمن الطريق، جاء في ذلك أحاديث لا تثبت وآثار بمجموعها تدل علىٰ المعنىٰ، فمن استطاع الحج أو العمرة كان عملهُ في سبيل الله، لما جاء في قصة أم معقل وأم طليق أنها قالت لزوجها: لو أعطيتني كان في سبيل الله أي: البعير، فلما أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «صدقت لو أعطيتها كانَ وكنت في سبيل الله ومن حج البيتَ فلم يرفث ولم يفسق رجعَ من حجته كما ولدتهُ أمه».

وليس في الإعمال ما يجعل الإنسان يرجع كما ولدتهُ أمه مثل: الحج وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ»، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ»، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وخَبَثَ الفِضَّةِ».

ومعلوم ما يلحق الحاج والمعتمر في سفره من النصب والتعب والأجر علىٰ قدر النصب كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لعائشة رضي الله عنها.

زد علىٰ ذلك: لما يلحقهُ من النفقات المالية، **زد علىٰ ذلك**: ما يقوم بِهِ من العبادات في حال رحلته فتضاعف لهُ أجر الصلاة في المسجد الحرام ويؤجر علىٰ الطواف وعلىٰ استلام الأركان، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يبعثَنَّ اللهُ الحجرَ يومَ القيامةِ لهُ عينانِ يُبصرُ بهما ولسانٌ ينطقُ يشهدُ لمن استلمَهُ بحقٍّ».

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ لِابْنِ عُمَرَ مَا لِي لَا أَرَاكَ تَسْتَلِمُ إِلَّا هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنْ أَفْعَلْ فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اسْتِلَامَهُمَا يَحُطُّ الْخَطَايَا». أخرجه أحمد.

وهكذا من الفضائل: ما يقع فيه من التأسي بإبراهيم عليه السلام والقيام في مقاماته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [سورة البقرة:١٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ﴾ [آل عمران: ٩٧-٩٨].

فالطواف والصلاة عند مقام إبراهيم، والسعي بين الصفاء والمروة كلها من مقامات إبراهيم ومن مقامات آل إبراهيم عليهم السلام.

وهكذا: يكون للحاج الوقوف في عرفه؛ فعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ عَبْدًا أَوْأَمَةً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ». أخرجه النسائي.

وهكذا: القيام في منىٰ، والتقرب إلىٰ الله بالهدايا والضحايا والنذور، والقيام عند المشعر الحرام، فهو عبادةٌ جامعةٌ لكثير من العبادات، فمن استطاع أن يبادر فليبادر فإن العوارض كثيرة والشواغل كثيرة، وما من عامٍ إلا ويضيق الحال أسوء من الذي قبله، فربما يعجز القادر في هذا العام عن الحج في العام الذي يليه وهو عبادة تتابع عليها الأنبياء، حج آدم عليه السلام، وحج إبراهيم، وحج يونس، وحج موسىٰ، ويحج عيسىٰ في آخر الزمان، وحج نبينا عليه الصلاة والسلام، ويحج المستطيع بماله وبدنه، ومن عجز بماله وكان مستطيع ببدنه فلينتظر من الله الفرج: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا﴾.

وأما من كان مستطيع بماله عاجزًا ببدنه فليوكل من يقوم بدلًا عنهُ بالحج.

وأيضًا يحج عن الأموات لاسيما إن ماتوا قبل أن يحجُوا، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى»، متفقه عليه.



فيتابع بينهما مع أن الفريضة مرة، والعمرة الصحيحة فيها أنها فريضة فمن عجزَ عن الحج واستطاع العمرة تعين عليه القيام بها، وإن تيسر له أن يأتي بهما دفعة فهو الأفضل، والأحسن لا سيما إذا حج حج التمتع الذي أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بِهِ أصحابه، حين وصلوا مكة وأمرهم أن يحلوا؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَدِمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ صُبْحَ أَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، مُهِلِّينَ بِالْحَجِّ كُلُّنَا، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فَطُفْنَا بِالْبَيْتِ، وَصَلَّيْنَا الرَّكْعَتَيْنِ، وَسَعَيْنَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ أَمَرَنَا فَقَصَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَحِلُّوا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، حِلُّ مَاذَا؟ قَالَ: «حِلُّ مَا يَحِلُّ لِلْحَلَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَالطِّيبِ»، قَالَ: فَغُشِيَتِ النِّسَاءُ، وَسَطَعَتِ الْمَجَامِرُ، قَالَ خَلَفٌ: وَبَلَغَهُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: يَنْطَلِقُ أَحَدُنَا إِلَىٰ مِنًىٰ، وَذَكَرُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا، قَالَ: فَخَطَبَهُمْ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلَوْ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ، أَلَا فَخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ». أخرجه أحمد.

ويكثر في الحج من الطواف، مع ذلك فإن من طاف سبُوعًا كان كعتق رقبة وكانت خطواتهُ إحداها ترفع درجة والأخرىٰ تحطُ خطيئة، والوضوء ليس بشرطٍ له علىٰ الصحيح، ولا بواجبٍ فيه، وإنما هو من المستحبات لفعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ذلك؛ ولأنهُ يحتاج أن يصلي



بعد الطواف ركعتين، الأفضل أنها تصلىٰ في مقام إبراهيم ويجوز أن تصلىٰ ولو في بقية المسجد أو حتىٰ في البيت أو خارج الحرم؛ لأن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صلىٰ الركعتين بذي طوىٰ، ويجوز أن يطوف الطائف أن راكبًا وماشيًا، ويسعىٰ راكبًا وماشيًا، ونسأل من الله القبول والعمل، والله المستعان.





حسن الكلام

ومن الأعمال الفاضلة: (حسن الكلام)، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة الإسراء:٥٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]، وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [سورة الإسراء:٣٦] وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [سورة الأنعام:١٥٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [سورة ق:١٨]، وقوله: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [سورة الزخرف:٨٠]، إلىٰ غير ذلك من الآي.

فالإنسان يراقب الله عَزَّوَجَلَّ ويتكلم بما يقربهُ منه، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ اللهِ لا يُلْقِي لها بَالًا يكْتُبُ اللهُ لَهُ بها رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يلْقَاهُ وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِنْ سَخَطِ الله لا يُلقِي لها بَالًا يكْتُبُ اللهُ عليهِ بها سَخطَهُ يَوْمِ يلْقَاهُ»، أخرجه حمد.

وقد قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بدعوة الناس إلىٰ حسن القول والفعل؛ فعند أن عيرَ أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلٌ بأمة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ». متفق عليه.

فزجره عن القول الذي يؤدي إلىٰ أذية الغير، وأمرهُ بالقول الحسن الذي يؤدي إلىٰ انشراح الصدور ويؤدي إلىٰ مزيد المحبة؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم.

ولو نظرنا إلىٰ حسن الكلام لوجدنا أنهُ يزداد بِهِ الوئام، ويحصل بسببِهِ الحب والاحترام، وربما زال ما في النفوس من الظغائن وقلّت الآثام؛ ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس قولًا، كما أنهُ أحسنهم فعلًا.

فعلىٰ الإنسان أن يكون متواضعًا في حال كلامه غير سخابٍّ وأن يكون مبشرًا لا معسرًا ولا منفرًا، وأن يكون محسنًا لا مُسيئًا، فإن السب وما في بابِهِ إساءة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لأبى جُري لا تسبنَّ

أحدًا» **قال أبو جري**: "فما سببتُ بعدهُ شاةً ولا بعيرًا ولا حرًا ولا عبدًا ولا أمةً".

وقال أيضًا في بيان حُسن الكلام: "وإن عيركَ أحد بما يعلم فيك فلا تعيرهُ بما تعلم فيه فإنما وبال ذلكَ عليه"، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من صفات المؤمن الكلمة الطيبة والكلمة الحسنة ففي الحديث: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**». متفق عليه.

ثمَ إن الكلام بهِ تُرفع إلىٰ درجات الجنان، وبهِ يهبط الإنسان إلىٰ مهاوي النيران.

فمن الكلام الحسن: الذكر، وتلاوة القرآن، والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة وتعليم الناس.

ومن الكلام السيء: الكذب، والغيبة، والنميمة، والبهت، والسب، ونحو ذلك مما لا يجوز في شرعنا ، والله المستعان.



الأمانة

ومن أعظم الأمور المبنية والمبينة للفضيلة: لهي (الأمانة)؛ إذ بعث الله عَزَّوَجَلَّ رسله بها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب:٧٢].

الأمانة اتصف بها جبريل عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

وكان يسمىٰ محمدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: بـ(الأمين) قبل بعثته، وأول ما دعاء الناس إلىٰ الأمانة كما في قصة هرقل مع أبي سفيان قال: يقول: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة، والأمانة.

وعند الترمذي: من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ».

فمن صفات المؤمنين التحلي بهذه الصفة العظيمة، ومن صفات المنافقين: الخيانة؛ ولهذا قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

متفق عليه.

وتُرفع الأمانة في آخر الزمان، كما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ، فَتُنْزَعُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا كَأَثَرِ الْمَجْلِ»، نسأل الله السلامة والعافية.

وَيُصدقُ الخونة في آخر الزمان، ويؤتمنون ويُخَوَّن الأمناء قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». أخرجه أحمد.

فنحنُ في زمن أهل الخيانة الذين يتنكرون لأهل الأمانة، ولو تأملت الساحة المسلمة تجد أنهم يحسنون الظن بالمغنيين والمغنيات والزناة، والزواني والفساق واللوطة وكل أصحاب الشرور ويسيئون الظن بعمار المساجد، وحفاظ القرآن وحفاظ السنة، ومن يُعلم الناس الخير والعقيدة الصحيحة، هذا من تنكس الفطر نسأل الله السلامة والعافية.

علىٰ المسلم أن يتحلىٰ بالأمانة وأن يتخلىٰ عن صفة الخيانة.

والأمانة أمانتان:

١- **أمانة الدين**، وهي: أعظمها.

٢- أمانة الحسيات وما إليها.

وقد أحسن من قال:

أدِّ الأمانــــةَ والخيانـــةَ فاجتنـــبْ ❁ واعدلْ ولا تظلمْ يطيب المكسبُ

التطوع في الصلاة

ومن فضائل الأعمال: (التطوع بالصلاة)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ». أخرجه مسلم.

وقد جاء إيضاح هذه الركعات علىٰ أنها: أربعة قبل الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأبي فراس حين سأله مرافقته في الجنة: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»، أخرجه مسلم.

وهكذا قال لثوبان: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً». أخرجه مسلم.

وهكذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»، أخرجه مسلم.

وعند الترمذي: عَنْ خَارِجَةَ بْنِ حُذَافَةَ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَدَّكُمْ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ: الوِتْرُ، جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفَجْرُ»، أي: الوِّتر.

فليس بعد التوحيد فيما يتقرب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، مثل صلاة الفرائض ثم النوافل.

وفي صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».

وكم هي الأوامر الإلهية، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [سورة الحج:٧٧]. والمراد بالركوع والسجود: الصلاة، لأنهما أشرف ما يكون في الصلاة، وقد امتدح الله عَزَّوَجَلَّ الرعيل أول بمحافظتهم علىٰ الصلاة نافلة وفرضًا وذم المتأخرين لتضييعهم للصلاة فرضًا ونفلًا، وكان النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يصلي من الليل حتىٰ تتفطر قدماه قيل له في ذلك، قال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». متفق عليه.

أناسٌ عرفوا الله، وعرفوا فضل العبادة، فبادروا إليها ولم يتوانوا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالٍ: «عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي

سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَىٰ عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ". متفق عليه.

فبشر بالجنة وهو يمشي علىٰ الأرض بسبب هذه الصلوات الفرائض والنوافل المستحَبات.

وكم شرع الله لنا من النوافل، حتىٰ يقضىٰ الوقت أجمع في صلاة إلا أن يكون الإنسان في حاجة نفسه وفي مصلحة أسرته ولا يتعارض فبعد نومه يقوم لوتره، ثم لركعتيْ الفجر، ثم الفجر، ثم صلاة الضحىٰ إن بقي في المسجد حتىٰ تطلع الشمس، وهكذا قبل الظهر تفتَّح أبواب السماء، وكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يصلي فيه، ويقول الله له: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [سورة الإسراء:٧٩].

فالله الله عباد الله في المحافظة علىٰ الصلاة فرضًا ونفلًا، فإن السعادة فيها، والطمأنينة فيها، إذا قام العبد يصلي نصب الله وجهه قِبَل وجه المصلي حتىٰ ينصرف، فإذا كنت مستحضرًا لوقوفك بين يدي الله داعيًا، راجيًا، سائلًا، مستجيرًا، إلا أثابك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولمحبة الله للصلاة وما إليها شرع سجود التلاوة وأخبر أن الإنسان إذا سجد انعزل الشيطان يبكي؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ». أخرجه مسلم.

والنافلة متعينة على الرجال والنساء، وفي الحضر والسفر إلا ما كان من النوافل القبلية والنوافل البعدية، فخففت في السفر، وبقي النوافل المطلقة كقيام الليل وصلاة الضحى ونحو ذلك.

فيا عباد الله استكثروا الخير فمهما أكثرتم فالله أكثر ومهما دعوتم فالله أكبر، والله المستعان.



الصدق

من الأعمال الفضيلة: (الصدق)، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [سورة التوبة:١١٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مدح المؤمنين وذكر منهم: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾، ثم قال في آخر الآية: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب:٣٥].

وامتدح الله عَزَّوَجَلَّ المهاجرين بأنهم الصادقون لصدقهم مع الله عَزَّوَجَلَّ ولصدقهم في مناصرة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ولصدقهم في التمسك بالدين هجروا الأوطان والبلدان وقدموا الغالي والرخيص في نصرة هذا الدين.

ومن مبدأ دعوة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الدعوة إلىٰ الصدق: **"يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ويقول: اعبدوا الله ولا تشركوا بِهِ شيئًا".**

وسمي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بالصادق قبل بعثته وكانت العرب تمدح الصادقين، قالت خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: " أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ".

وقال ابن الدهنىٰ لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والله إنك لتصدق الحديث"، وسمي بالصديق لصدقهِ وكثرة تصديقه لربهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والله عَزَّ وَجَلَّ امتدحَ أصحاب الإيمان والعمل الصالح بقولهِ: ﴿* لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٧٧].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا». أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويلازم الإنسان الصدق في بيعه وشرائه ومعاملتة وفي جميع شأنه؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ»، أخرجه الترمذي، الصدق سكينة في القلب طمأنينة في حال المعاملة والبيع والشراء، وفي حال المصاحبة وكذلك العداوة، الصادق يطمأن إليه بخلاف الكاذب المتمرد علىٰ شرع الله وهدي رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ». أخرجه ابن حبان، فاصدق في حديثك.

والصدق ينقسم إلىٰ: صدق الأقوال، وصدق الأفعال، وصدق الاعتقادات.

فينبغي للمسلم أن يحقق جميع أنواع الصدق، إن تكلم فليتكلم بالصدق، وإن فعل فليفعل الأفعال الموافقة للصدق، وإن اعتقد فليعتقد الصدق، وإياه وظن السوء وإياه الاعتقادات الفاسدة والظنون السيئة.

والصدق ينفع المؤمن في آخرته، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة:١١٩].

فتحلىٰ أيها المسلم بالصدق مقتديًا بأوامر ربك مُتأسيًا بنبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سالكًا سبيل سلفك الصالح رضوان الله عليهم، سالكًا سبيل الكرماء فإن الكذب خلة ذميمة وفعلة سيئة سقيمة إنما تميز بها أهل النفاق، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [سورة المنافقون:١]، مع أنهم في قولهم رسول الله صدقوا لكن لكثرة كذبهم،

ولمخالفات قلوبهم ما في ألسنتهم سموا بالكذابين ولشدة كذبهم يكذبون حتىٰ يوم القيامة حتىٰ يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٣﴾ [سورة الأنعام:٢٣]، يريدون أن يكذبوا علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهيهات، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب:٨]، فكيف بالكذابين، وكيف بالمنافقين، وكيف بالغشاشين؟!، والله المستعان .



الإحسان

ومن الأمور الجليلة والأعمال الفضيلة التي أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بها لهيَ: (الإحسان)؛ حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ [سورة البقرة:١٩٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [سورة النحل:٩٠]، ومن أَحسَنْ أَحسَنَ الله إليه في دُنياه وأخراه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [سورة الرحمن:٦٠].

وقد كتب الله عَزَّوَجَلَّ الإحسان في كل شيء، فكتبه في العبادات؛ فعن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفُرٍ عَلَىٰ قَدَمِهِ فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ»، أخرجه مسلم.

وهكذا في الصلاة، كما في حديث المسيء صلاته ، قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إذ لم يُحسن يصلي: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، متفق عليه. وهكذا في بقية الطاعات.

وأمر الله عَزَّوَجَلَّ **بالإحسان في المعاملات**، قال تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، وأمر بالإحسان في الأفعال: «فإذا قتلتُم فأحسِنوا القِتلةَ وإذا ذبحتُم فأحسِنوا الذِّبحةَ». أخرجه الترمذي، عن شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومن عظيم ما أمر الله به: الإحسان إلىٰ للوالدين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ﴾ [سورة الأحقاف:١٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ [سورة العنكبوت:٨]، فالإحسان إلىٰ الوالدين من أعظم المهمات؛ إذ حقهم بعد حق الله عَزَّوَجَلَّ، وقرنه الله عَزَّوَجَلَّ بحقه في مواطن كما تقدم لبيان فضله وعظيم منزلته وذلك مُجازاة علىٰ إحسانهم، قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [سورة الإسراء:٢٤]، ولن يُجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقهُ لعظيم إحسان الوالد إلىٰ الولد.

وهكذا: الإحسان إلىٰ للجيران، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلى جارِهِ»، بكف الأذىٰ وبذل الندىٰ وطلاقة الوجه، فإن حق الجار عظيم قال النبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا: الإحسان إلىٰ الأرحام، فقد جاء في "الصحيح": أن رجلٍ قال: يا رسول الله! إنَّ لي قرابةً أُحسِنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، فقال النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

فيُحسن إلىٰ الوالدين وإلىٰ ما تفرع عنهما ومنهما من الأرحام والأقارب، والجار ذو القربىٰ، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، ويُحسن إلىٰ الأرحام والجيران، وهكذا الإحسان بين الأزواج قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [سورة البقرة:٢٢٩]، فيبقىٰ المسلم محسن في معاملته مع زوجته؛ لأنه أخذها بعهد الله وبكتاب الله، ويُحسن إلىٰ من أكرمه وزوجه، ويحسن إلىٰ أم أولاده وأبنائه وإلىٰ شريكته في حياته، وهكذا الإحسان إلىٰ الأبناء باختيار الاسم الحسن لهم، وبتربيتهم علىٰ الأعمال الحسنة الممدوحة، التي ينتفعون بها بل والإحسان إلىٰ جميع من وقع بينك وبينهم مداخلة، بل حتىٰ الإحسان إلىٰ الحيوان، قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»، متفق عليه، وكلما أحسنت أحسن الله إليك.

وأحسن كما أحسن الله إليك فإذا أحسنتَ أحسن الله إليك، وإن أحسن الله إليك تعين عليك الإحسان لتثبيت النعمة ولدوامها، فإن النعمة إذا شُكرت قرت وإذا كُفرت فرت. ولا تُستجلب النِّعم المفقودة بمثل الشكر والإحسان ولا تحفظ النعم الموجودة بمثل الشكر والإحسان، فإذا أردت المفقود وأردت المحافظة علىٰ الموجود فما عليك إلا أن تكون محسنًا وأعظم الإحسان هو ما كان علىٰ وفق القرآن والسنة، قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود:٧]، فقد سئل فضيل بن عياض عن أحسن العمل؟ قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: أخلصه قد علمناه، أي: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في العمل، فما أصوبه؟ قال: أن يكون موافقًا للسنة، والله المستعان.

وباب الإحسان بابٌ واسع لكن هذه إشارات تغني عن كثرة العبارات يستفيدها من: ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة ق:٣٧] فإذا أردت أن يحسن الله إليك فأحسن إلىٰ عباد الله والتزم شرع الله وتأسىٰ برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فلذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة يونس:٢٦]، جزاء من جنس العمل، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٧٢] في الدنيا بالتوحيد بالسنة بالصلاة بحسن المعاملة،

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة النساء:٩٥]: الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦]: النظر إلىٰ وجه الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا والله دليل علىٰ عظيم درجة الإحسان حيث ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ما أعد للمحسنين، الطائعين، المخبتين المنيبين: الجنة وزادهم من فضله النظر إلىٰ وجهه إحسانًا منه، كما أحسنوا في معاملتهم، كما أحسنوا في توحيدهم، كما أحسنوا في عقيدتهم، وعبادتهم، وصلاتهم وصيامهم، وذكرهم ودعائهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقراءتهم لكتاب الله، الله المستعان.





طلب العلم النافع

ومن أفضل الأعمال وأزكى الأفعال لهو: (طلب العلم النافع، علم الكتاب والسنة)، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه فضله فقال لمحمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء:١١٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ:﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [سورة المجادلة:١١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران:١٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ لمحمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه:١١٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾ [سورة فاطر:٢٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة العنكبوت:٤٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ

فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ [البقرة:٣١-٣٣].

فأمرهم بالسجود لآدم؛ لعلمه وفضيلته وعلو منزلته، وبعث الله عَزَّوَجَلَّ الأنبياء بالعلم، قال تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ [العلق:١-٤]، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن:١-٤]، في غير ما آية تدل علىٰ فضيلة هذه الفعلة وهذه الخصلة.

وأما الأحاديث فيقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» ويقول: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيرُكُم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ» وفي رواية: «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». أخرجه الترمذي.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»، أخرجه ابن ماجه.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»، أخرجه الترمذي.

وعن صفوان بن عسال، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ». أخرجه الترمذي.

وضرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مثلًا لمتقبل العلم بالأرض الطيبة أصابها الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وطلب العلم أجرٌ في جميع أحواله، في حال الطلب والحفظ والمراجعة والتتلمذ، وفي حال التدريس والتأليف والخطابة والنصح والتوجيه، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجورِ منْ تَبِعهُ» ودعاة الهدىٰ هم أهل العلم حقًا، المتابعون لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صدقًا، المُشِيدون بمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم جاء في مدح معاذ بن جبل أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، أخرجه الطبراني، رميت حجر قالوا: لعلمه لدعوته لفضله، وهكذا قيل في وصف معاذ بن جبل: أن معاذ كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يكن من المشركين، فقال رجلٍ لعبد الله

بن مسعود حين سمعه يقول هذا: هذا إبراهيم فعادها عليها فقال: أتدري الأمة هو الإمام الداعي إلىٰ الخير.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

العلم من الأعمال التي تجري علىٰ صاحبها، وقد وُسد الثرىٰ لا سيما إذا كان علمه قد تعدىٰ إلىٰ الغير؛ **فلذلك قال السلف في هذه المسألة**: "علم الرجال ولده المخلد".

ومما يدل علىٰ فضيلة العلم: أنه صفة الله فهو العالم هو العليم وهو العلام وهو عالم الغيب والشهادة وهو الخبير وهو اللطيف إلىٰ غير ذلك من معاني العلم ومما يدل علىٰ فضيلة العلم أنه في الأنبياء والرسل، ومما يدل علىٰ فضيلة العلم أنه في المجددين لدين رب العالمين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِيمَا أَعْلَمُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، أخرجه أبو داود.

ومما يدل على فضيلة العلم: أنهُ شأن الصحابة رضوان الله عليهم فهم علماء الأمة.

ومما يدل على فضيلة العلم: أن أول ما أنزل من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [سورة الإسراء:١٤] أي: تعلم، وهكذا: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد:١٩]، فكان العلم قبل القول والعمل.

ومما يدل على فضيلة العلم: أن الكلب المعلم أحسن حالًا من غيره من الكلاب، وأباح الله صيد الكلب المعلم إذا ذكر اسم الله عليه ولم يُبح صيد غيره إلا إذا ذكي قبل موته.

ومما يدل على فضيلة العلم: أن العلم يحتاجه الإنسان في جميع أحواله العلمية والعملية في التوحيد والعقيدة والصلاة والمعاملات، وفضائل العلم كثيرة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من يُرِد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» مفهومه: أن من لم يرد الله به خيرًا لا يفق بالدين ولا يوفق.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حين أكرمهُ ابن عباس قال: «**اللّٰهم علمه التأويل، اللّٰهم فقه في الدين**»، وكم هي الأدلة الدالة علىٰ فضيلة العلم ومنزلته.

وقد تكلم ابن القيم رحمة في كتابهِ "مفتاح دار السعادة" ومنشور ولاية العلم إرادة بأكثر من مائة وخمسين وجهًا في تفضيل العلم علىٰ المال، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ

فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [سورة التوبة:١٢٢].

وقال الزُهري: "وبانتعاش العلم انتعاش الدنيا والدين".

وكان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن علمٍ لا ينفعُ..» الحديث.

فهذه إشارات لفضيلته وعلو منزلته وإلا فقد صنفت المطولات والمختصرات في بيان شأن هذا الأمر الذي يُتعبد لله به، **حتىٰ قال العلماء:**" العلم يقدم علىٰ نوافل الطاعات"، وأهل العلم ربما تغربوا ونالهم أجر الغربة، وربما تعبوا ونصبوا ولغبوا وأنفقوا والأجر علىٰ قدر النصب.

فقيمة الإنسان بهذه الحياة بما يحسن وكل إنسان يحكم لهُ بما يحسن:

قيمة الإنسان ما يحسنهُ ❁ أكثر الإنسان منه أقل

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا جاءه أحد بالإسلام علمه، فعن أبي رِفَاعَةَ قال: "انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَىٰ خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا "، متق عليه.

ولا ينبغي لأحد عنده شيء من الخير أن يضيع نفسه، من أعطاه الله علمًا لا ينبغي أن يُضيع نفسه ينشغل بتجارةٍ أو ينشغل بوظيفةٍ أو ينشغل بغير ذلك من المشاغل؛ لأن ما هو فيه من العلم أنفع لنفسه ولغيره، وأرضىٰ لربه واتبع لنبيه، فجلباب العلم من رزقه رزق مجامع الخير، بمجاديحها الكبيرة العظيمة وانظروا لتعاقب الأمم، مات الملوك ومات ذكرهم، مات التجار ومات ذكرهم، تعاقبت الدول والعلماء هم العلماء لم يتغير شأنهم ولم يندثر ذكرهم بل يذكرون في المحافل، وفي جميع الشأن سواءً علماء الصحابة أو علماء التابعين أو أصحاب الأمهات الست ومن إليهم من المؤلفين المصنفين، وهكذا في كل عصر وحين.



قراءة القرآن

ومن أفضل الأعمال التي يتقرب به إلىٰ الرب المتعال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهُو: (قراءة كلامه ووحيه وتنزيله علىٰ محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ) الذي قال عنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة فصلت:٤٢]، وقال عنه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٢]، وقال عنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإسراء:٩]، وقال عنه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢]، وقال عنه: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [سورة يونس:١]، وقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ [سورة يوسف:١].

ووصفهُ بغير ذلك من الأوصاف العظيمة فهو كلامُه ووحيه وتنزيله ونوره وضيائه وهو الفرقان وهو الرحمة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يونس:٥٨]، وهو القرآن المجيد الواسع: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [سورة ق:١]. أي: الواسع في أحكامه الواسع في سورهِ وآياته، الواسع بفضائله الواسع في خصائله وشمائله، الكتاب الذي حوىٰ علم جميع الكتب المنزلة علىٰ جميع

الأنبياء والمرسلين الكتاب المهيمن علىٰ غيرهِ من الكتب، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة:٤٨].

الكتاب الناسخ لغيرهِ من الكتب الكتاب المحفوظ عن عبث العابثين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩].

الكتاب الذي من قرأه، من حفظه، من عمل به كان شفيعًا لهُ يوم القيامة، قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ»، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: « اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا»، أخرجه مسلم،

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»، أخرجه مسلم.

القرآن كما قال عنهُ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْقُرْآنُ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ». أخرجه ابن حبان.

فقوله: «الْقُرْآنُ مُشَفَّعٌ»: يقبل الله شفاعته للعاملين به المنقادين له القارئين له.

وقوله: «مَاحِلٌ مُصَدَّقٌ»: مخاصم يخاصم المضيعين له، الهاجرين له، المفرطين فيه، ويصدق في حال خصامه لا يحتاج إلىٰ شهود ولا إلىٰ بينات.

والقرآن أهلهُ هم أهل الله تجد في الشاهد أهل فلان أهل الحرفة الفلانية أهل الحي الفلاني كلٌ ينسب إلىٰ ما هو إليه أما أهل القرآن؛ فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ»، فَقِيلَ: مَنْ أَهْلُ اللهِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»، أخرجه مسلم.

هنيئًا لمن كان من أهل الله يكرمه ويدنيه ويرحمه ويعطيه.

القرآن الذي من قرأ منهُ حرف، كان لهُ عشر حسنات وربما تضاعف إلىٰ أضعاف كثيرة؛ فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ». أخرجه الترمذي.

اقرؤوا القرآن و اقتنوه وتغنوا به هكذا يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَتَعَاهَدُوهُ وَتَغَنُّوا بِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْمَخَاضِ فِي الْعُقُلِ**» ، أخرجه أحمد.

اقتنوه كما يقتني التجار الذهب والفضة، وكما يقتني أهل البادية الغنم والإبل، أنت ليكن قنيتك القرآن احفظهُ، حافظ عليهِ اتقنهُ أحسن قراءته تعبد لله عَزَّوَجَلَّ بتلاوته افهمهُ، تعلم تفسيره تعلم بيانه لا تبخل علىٰ نفسك بعلم القرآن أبدًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يوم القيامة: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»، **بل قال بعض أهلِ العلمِ**: "إن درجات الجنة بعدد آي القرآن".

فهنيئًا لأهل القرآن هنيئًا لمن سعىٰ في رضىٰ الرحمن هنيئًا لمن تقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بكلامه، قال جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ**"، فهو أفضل الذكر أفضل الكلام، وأفضل العلم، وأفضل الدواء، وأفضل الدعاء، وشرف العلم بشرف المعلوم فهو كلام الله الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [سورة فصلت:٤٢]، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء:٨٣].

يجد أحدنا في كلام الله كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الخير العظيم القرآن كتابٍ عظيم في دنيانا وآخرنا الفاتحة وحدها هذه السورة

آلتي يحفظها الرجال و النساء والصغار والكبار فضلها عظيم ومنزلتها رفيعة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [سورة الحجر:٨٧]، سماه الله عَزَّوَجَلَّ: القرآن العظيم، الفاتحة وحدها لا تصح الصلاة إلا بقراءتها؛ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»، متق عليه.

ووعدٌ من الله باستجابة دعاء الداعين بها؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة:٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [سورة الفاتحة:٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة:٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». أخرجه مسلم.

وآية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». أخرجه مسلم.

و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [سورة الإخلاص:١]. تعدل ثلث القرآن مع أن القرآن كلهُ فضيل وكلهُ مبارك، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [سورة الأنعام:١٥٥]، مبارك في تلاوته، مبارك في فهمه مبارك في العمل به مبارك في الدعوة إليه، مبارك في القيام به، وتجد أن الشخص المتعلق بالقرآن يبارك في جميع شأنه، وتسهل أموره، ويدلوا البعيد، ويسهل العسير؛ لأنه كلام الله ومن يبقىٰ مع كلام لله، يبقىٰ مع الله يذكر الله والله يذكره وإذا ذكره الله وفقه وسدده وأعانه ورحمه ورزقه وأعطاه ودافع عنه، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعهُ إِذَا ذَكَرَنِي». متفق عليه.

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يكثر من قراءة القرآن ومن سماع القرآن ولا سيما في رمضان كان يدارسهُ جبريل عليه السلام بالقرآن

وهكذا الصحابة حرصُوا علىٰ حفظ القرآن والقيام بالقرآن حتىٰ لقد كانَ أبو بكر ربما قد صلىٰ الفجر بسورة البقرة وعمر كان يصلي في الفجر بنحو سورة يوسف والنحل؛ لمحبتهم للقرآن وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام ليلةً بالقرآن في ركعة واحدة، هكذا علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المعتنين بالقرآن، **وعبد الله بن مسعود يقول**: "ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيت إليه".

ويكون الاعتناء بالقرآن بحفظه بتعلمه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خَيرُكُم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ**» وفي رواية: «**أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

وهناك فضائل غير هذه إنما هذه إشارات للعلمِ بعظيم شأن هذا الكتاب، كتاب رب العالمين وحبله المتين، من تمسك بهِ نجا، ومن تركهُ ضل و غوىٰ.



ما يكون للإنسان بعد موته

ومن الأعمال الفضيلات والأفعال الجليلات لهُوَ: (ما يكون للإنسانِ بعد موتهِ)، فليحرص كل عبد علىٰ إجرائي أعماله بعد موته؛ لأنه في حياته يمكن أن يأتيَ بالأعمال ويمكن أن يتوب و يؤوب وبعد موته يعجز عن الحسنة وعن دفع السيئة.

فمن رحمة الله بالمسلمين: أن جعل لهم أعمالًا تجري عليهم بعد موتهم، ومن ذلك ما قالهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»، أخرجه مسلم.

ويدخل في ذلك أيضًا: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كانَ لهُ مِنَ الأجْر مِثلُ أُجورِ منْ تَبِعهُ لاَ ينْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كان عليه مِنَ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعهُ لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ آثامِهم شَيئًا».

وباب الصدقات الجاريات للإنسان بعد الممات كثيرات:

فمنها: تشيد للمساجد أي :عمارتُها؛ ليذكر الله عَزَّوَجَلَّ فيها، لا لنشر الزور والباطل، ولا لإيواء القبور ونحو ذلك، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ» متفق عليه.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»، أخرجه ابن ماجه.

وهكذا: كتابة الكتب والطباعة لها أو الشراء والوقف لها؛ لما تحويهِ من العلوم والخير العظيم.

ومن ذلك أيضًا: إجراء الأنهار والآبار وخزَّانات الماء فإنها من الصدقات الجاريات ما استخدمت وانتفع الناس بها، بل أوسع من ذلك لا ينتفع منها إنسانٌ ولا طيرٌ ولا حيوان إلا كان له بذلك أجر؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما مّن مُسلِم يغرِس غرْسًا، أوَ يزْرعُ زرْعًا، فأكُل مِنْهُ إِنْسانٌ أوَ دابَّةٌ أوَ طَيرٌ إلاَّ كَانَ لَه بِهِ أجر». أخرجه أحمد.

ومن ذلك أيضًا: إجراء الطرق لمرور الناسِ وقضاء حوائجهم، وأيضًا إنشاء المدارس لكن لا المدارس الاختلاطية التي ربما حوت الزور والفجور، وإنما المدارس التي تعلم التوحيد والعقيدة الصحيحة وما ينتفع الناس به، بما لا معارضة لشرع الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن ذلك أيضًا: الرباط في سبيل الله لا سيما إن مات فيه، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، إِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ، وَيُؤْمَنَ الْفَتَّانَ»، أخرجه أحمد، وفي رواية عند أبي داود: «كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ

إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ»؛ وذلك لعظيم شأنِ الرباط.

ومن أوسع ذلك: بث العلم والدعوة إليه فإنهُ من أنفع ما يكون من الصدقات الجاريات، فكم من صدقات جاريات قد اندثرت وانتهت وبقي العلم، وكم قد عَمرَ كثيرٌ من الخلفاء ومن التجار ما يستفيد منهُ الناس وهو في الأصل من الأوقاف والصدقات الجاريات لكن انتهت، وأقرب مثال لذلك ما يسمع بعين زبيدة العين التي أجرتها لسقيا الحجيج في مِنىٰ وعرفات ومزدلفة قبل أن يكون المضخات والآبار الارتوازية، وهكذا كثير من المساجد والبيوت للغريب ونحو ذلك، ولكنها انتهت ولهم أجرٌ لمدة بقائها، ولهم أجر علىٰ نياتهم لكن العلم هو الصدقة التي لا تنتهي والولد المخلد الذي لا يموت حتىٰ يقبض الله الأرض ومن عليها، فانظروا إلىٰ علم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي بثهُ للأمة ما زلنا نتعاطاه ليل نهار، نقله عنهُ الصحابة فأجروا، ودوَّنهُ التابعون فأجروا، ونشرهُ العلماء ودرسهُ وشرحهُ فأجروا.

فعلىٰ المسلم أن يكون حريصًا علىٰ عملٍ يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به، ينتفع بِهِ وهو في قبره يفرح بالحسنة تروح عليه فضلًا عن الحسنات، وقد أحسن من قال:

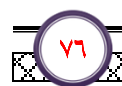
إذا مات ابن آدم ليس يجري ❁ عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجلٌ ❁ وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغرٌ ❁ وحفر البئر أو إجراء نهرِ
وبيت للغريب بناه يأوي ❁ إليهِ أو بناء محل ذكرِ
وتعليم لقرآن كريمٌ ❁ فخذها من أحاديث بحصر

فعلىٰ المسلم أن يسعىٰ في إبقاء الصدقات الجاريات بعد موته.

ومن ذلك: تربية الأبناء التربية الصحيحة التربية الشرعية؛ إذ أن جميع اعمالهم الصالحة في ميزان آبائهم إذا كانوا قد ربُوهم علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وربما كانت دعواتهم واصلت إلىٰ آبائهم وإلىٰ أجدادهم وإلىٰ غير ذلك من المسلمين، إن كانوا علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

ونسأل الله أن يعيننا علىٰ ما يكون سببًا في إيصال الأعمال الصالحة إلينا بعد مماتنا، ونسأل الله الإخلاص لنا ولكم ولجميع المسلمين، والله المستعان.





ذكر الله عَزَّوَجَلَّ

ومن أفضل الأعمال وأزكاها وأشرفها وأعلاها لهُو: (ذكر الله عَزَّوَجَلَّ)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٥٢]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [سورة البقرة:٢٠٣]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [سورة طه:١٢٤]، في آياتٍ كثيرات يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بذكره وشرعًا الشرائع لذكره: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [سورة طه:١٤]، وأنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ الكتاب وأرسل اللهُ عَزَّوَجَلَّ الرسول وشرع الله عَزَّوَجَلَّ الجهاد ليُذكر، ليعبد ليشكر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وقد فسر بعض أهلِ العلم قولهُ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]، فـ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]: أن يذكر فلا ينسىٰ، وأن يشكر فلا يكفر.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الذاكرين والذاكرات من المسلمين: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [سورة الأحزاب:٣٥]، فذكر الله تنشرح بهِ الصدور وتزول بهِ الهموم وترفع بهِ الدَّرجات وتكفر بهِ السيئات وتستجلب بهِ الأرزاق

وتستشفىٰ بهِ الأبدان ويتحصن بهِ من الشيطان، وكم لهُ من الفضائل وكم لأصحابهِ من الشمائل، فهو طريق رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في وصف هذا الحال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة آل عمران:١٩١]، فأهل الذكر يذكرون الله عَزَّ وَجَلَّ في جميع حالاتهم وفي جميع شأنهم؛ لأن الذاكر لله يذكرهُ الله، وكفىٰ بها مزية وشرفًا ومنزلة ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٥٢].

وفي الحديث القدسي: «فَإِن ذَكرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ»، بل من عجيب شأن الذاكرين: أن الله يغفر لهم ولمن جالسهم «هُمُ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»، هكذا يقول الرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن ذكر شأن الذاكرين الطائعين لأمر رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»، أخرجه الترمذي.

فالذكر عبادة تغني عن كثيرًا من العبادات.

والله عَزَّوَجَلَّ يذكر بلسان الحال والمقال، والله عَزَّوَجَلَّ يذكر في الحضر والسفر، وفي الليل والنهار، بل إنهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلق ملائكةٍ يسبحون لهُ بالليل والنهار لا يفترون، وإذا ما دخل أهل الجنه الجنةَ يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس، أي: أنهُ مذكورٌ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كل زمان وبكل لسان، قال تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾ [سورة الحديد:١].

فينبغي للمسلمين أن يلتزموا طاعة رب العالمين وأن يتأسوا بالنبي الكريم، وأن يقتدوا بالصحابةِ الصالحين، الذين ذكروا اللهَ في جميع أحوالهم، ذكروا الله عَزَّوَجَلَّ في حال شدتهم وفي حال رخائهم حتىٰ كان من شأنهم إذا ارتقوا إلىٰ العالي كبروا وإذا نزلوا سبحوا، وهذا بابٌ واسع في عمومه وخصوصه، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُم بِخَيْرِ أعمالِكُم، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٌ لكم من إِنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم؟!»، قالوا: بَلَىٰ، قال: «ذِكْرُ اللهِ»، أخرجه الترمذي.

انظر إلىٰ هذهِ الخصال أين توجد في غير ذكر ذا الجلال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والإنسان علىٰ ما تعود، إن تعود ذكر الله عاش عليه ومات عليه، ومن تعود معصية الله يُخشىٰ أن يموت عليها، معرضًا غير موفق للخير، فلا أجمع للخير من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الناس قد شغلوا بدنياهم وشغلوا بقيلهم وشغلوا بغير ذلك وأنت تذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم:١٧-١٨]، في كل وقت قد شرع الله لنا من الأذكار أذكار الصباح والمساء، وأذكار دبر الصلاة، وأذكار النوم وأذكار السفر والرجوع منه وأذكار الحج والعمرة وما من أمر من الأمور إلا ولهُ من الأذكار ما يأتي بها المسلم فترفع درجاته وتكفر سيئاته ويحرس من الشيطان وكان في وصية يحيىٰ أبن زكريا لبني إسرائيل: «وأوصيكم بذكر اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا فوجد حِصْنٍ فدخله»، **الحصن** هو: ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [سورة الأعراف:٢٧]، وما السلامة منهُ ومن قبيله الذكر، انظر حين يثوب بالصلاة الله اكبر الله أكبر يدْبرَ الشيْطَانُ ولهُ ضُرَاطٌ، فإذا دخل الإنسان عاد إليهِ موسوسًا مشغلًا له مُلهيًا له ولعلهُ يأتي مزيد بيان لبعض فضائل بعض الذكر، والله المستعان.

***



الأذان

ومن الأعمال الفاضلة: (**الأذان**) هذه الشعيرة العظيمة المتضمنة للتوحيد والداعية إلىٰ طاعةِ العزيز الحميد :سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

(الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح، حي علىٰ الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله الا الله).

جعل الله عَزَّوَجَلَّ هذهِ الكلمات شعارًا لأهل الإسلام ينادون بها خمس مرات إلىٰ الصلاة، بل إن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا غزىٰ استمع الأذان فإن سمع أذان أمسك وإلا غار تُعصم به الدماء.

وأثنىٰ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ المؤذنين ثناءً عظيمًا فقال: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، أخرجه مسلم.

وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»، متفق عليه.

وقد جُعل المؤذن أمينًا علىٰ أوقات المسلمين، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ».

وله أجرٌ عظيم، ومن حضر الصلاةَ أو قام إليها بسبب دعوته فلهُ أجر.

وإذا كانت المتابعة بعد المؤذن من الفضيلة بمكان فكيف بالمؤذن

قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» أخرجه مسلم.

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ». أخرجه مسلم.

وقد شرع الله عَزَّوَجَلَّ الآذان للإعلان بدخول الوقت وشرع الإقامة للقيام إلىٰ الصلاة وإعلام من في المسجد بالقيام إلىٰ الصلاة، لقد أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ بلالًا أن يشفع الآذان ويُوتر الإقامة إلا الإقامة فيكررها مرتين.

وهذه الشعيرة العظيمة ينبغي أن تُشاع وتظهر؛ ولذلك تجد الكفار في بلدانهم يمنعون الآذان مع أنهم يأْذنون في غير ذلك من البلاء العظيم الأغاني منتشرة الأصوات مرفوعة الأذىٰ حاصل، فإذا كان الشأنُ إلىٰ الأذان منعوه وشأنهم شأن الشياطين لقد قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : «إِذا نُودِي بالصَّلاةِ، أَدْبرَ الشيْطَانُ ولهُ ضُرَاطٌ حتَّى لاَ يسْمع التَّأْذِينَ، فَإِذا قُضِيَ النِّداءُ أَقْبَل، حتَّى إِذا ثُوِّبَ للصَّلاةِ أَدْبَر، حَتَّى إِذا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبلَ، حَتَّى يَخْطِر بَيْنَ المْرْءِ ونَفْسِهِ يقُولُ :اذْكُرْ كَذا، واذكُرْ كذا لمَا لَمْ يكن يذْكُرْ منْ قَبْلُ حَتَّى يظَلَّ الرَّجُلُ مَا يدرَي كَمْ صلَّى». أخرجه مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»، متفق عليه، وهذا لعظيم فضله وعظيم منزلته.

وقد اختلف العلماء أيهم أفضل الإمامة أو الآذان فذهب قومٌ إلىٰ تفضيل الآذان؛ لكثرة الأحاديث في فضيلته، وذهب قومٌ إلىٰ الإمامة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ اختارها لنبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وينبغي أن يصان الآذان عما يخالف الشرع من التمطيط والتلحين الذي يُخرجه عن الجزم فالأذان جزمٌ.

ويروىٰ عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمُؤذن: "أذن أذانٌ سمحٌ وإلا فاعتزلنا".

وهكذا يصان عن البدع مثل الزيادة: "حي علىٰ خير العمل" فيه، فهذه من المحدثات، وإن ثبتت عن بعض الصحابة يريد بها في الجهاد، "حي علىٰ خير العمل" حين نادىٰ إلىٰ الجهاد ليس في الآذان.

ومن ذلك **أيضًا**: إدخال "أشهد أن عليًا ولي الله"، في الآذان، فإن هذا من محدثات الشيعة الرافضة ومن إليهم.

وهكذا: قول قبل الأذان، قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت:٣٣]، لم يثبت هذا في دليلٍ صحيح.

وينبغي أن يرفع المؤذن صوته في التأذين إظهارًا للشعيرة ورفعًا لها، وقد قيل في معنىٰ حديث: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: أن العرق حين يُرجم الناس تطول أعناقهم فيسلمون **وقيل** :المراد أكثر الناس اتباعًا، **وقيل** :شرفًا، **وقيل** :المراد إعناقًا أي :سير إلىٰ الله، والله أعلم.





رد السلام وإشاعته

ومن فضائلِ الأعمال التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها لهو: (رد السلام وإشاعته)؛ إذ أنه تحيةُ أهل الإسلام وتحيةُ أهل الجنة، وحيت به الملائكة آدم عليه السلام، وقد سلم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خديجة، وسلم جبريلُ عليه السلام علىٰ عائشة رضوان الله عليهم، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَوَلا أَدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ»، بعد أن أخبر أنهم لن يدخلوا الجنةِ حتىٰ يؤمِنوا، و لا يؤمنوا حتىٰ يتحابُّوا.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [سورة النساء:٨٦]، وقد جاء بيانُ التحية بأحاديث متكاثرة أدناها: «السلام عليكم»، وقيل: يُجزئ «سلامٌ»، ثم: «السلام عليكم ورحمة الله» ثم «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفي صحيح الترمذي: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «عِشْرُونَ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُونَ».

ويُشاع السلام بالليل والنهار وعند كل لقاء، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» وفي رواية: «خمس» ومنها: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا لَقِيَ أحدُكم أخاه فَلْيُسَلِّمْ عليه، فإن حَالَتْ بينهما شجرة، أو جِدَارٌ، أو حَجَرٌ، ثم لَقِيَه، فَلْيُسَلِّمْ عليه».

وأولىٰ الناس بالله من بدأهم بالسلام هكذا يقول نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويقول: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ» ، متفق عليه.

وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ربما إذا دخل علىٰ النَّوم فيُسلم تسليمًا يسمعه اليقضان ولا يوقض النائم، وشُرع السلام من أجل النظر أيضًا إذا أراد أحدٌ زيارة أحد فليبدأه بالسلام.

وعن رَجُلٌ مَنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ: أَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِخَادِمِهِ: «اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الِاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟»، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ. أخرجه أبو داود.

وتسلم علىٰ نفسك إذا دخلت إلىٰ بيتك وعلىٰ أبناءك، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور:٦١].

وهو دعاءٌ بالسلامة وهو علامةٌ للأمن والاطمئنان، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [سورة النساء:٩٤].

فإذا سُلِّم الإنسان شعر بالاطمئنان ويعامل بظاهره، وقد كره العلماء بل حرموا استبدال السلام: "بصباح الخير، ومساء الخير" كما هو عادات كثيرة من البلدان وهكذا استبدالُها بلغة العجم ونحو ذلك من الألفاظ الغير شرعية، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أمر ببذل السلام للعالم أجمع لفضيلته، وَقَال الْبُخَارِيُّ (ج١ص١٥): وقَالَ عَمَّارٌ: "ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ".

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»، متفق عليه.

وهكذا إذا دخل المرءُ إلىٰ مجلس سلم عليهم فإن رد بعضهم أجزأه وإن ما ردوا جميعهم لا حرج، إلا أن الواجب في الراد أن يرد واحدٌ ولا يبدؤا اليهود والنصارىٰ بالسلام، فإن سلموا علىٰ المسلمين فليقل: وعليكم، هكذا أمر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وإذا أتيت علىٰ مجلسٍ فيها أخلاط من المسلمين والكافرين سلم لأن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك، إلىٰ غير ذلك من الأحكام العظيمة، الدالة علىٰ عظيم هذه الشعيرة الجليلة: السلام، قال الله عَزَّوَجَلَّ لآدم: «**اذهب فَسَلِّمْ على أولئك -نَفَرٍ من الملائكة جلوس- فاستمع ما يُحَيُّونَكَ؛ فإنها تَحِيَّتُكَ وتحية ذُرِّيتِكَ. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فَزَادُوهُ: ورحمة الله**».

فانظروا إلىٰ هذه التحية العظيمة، ولمَّا سلم موسىٰ عليه السلام علىٰ خضر قال: «**وأنا بأرضك السلام**»؛ لأن السلام إنما هو من شعائر أهل الإسلام ليس لكل أحدٍ أن يأتي به، فلذلك ينبغي أن نشيع هذه الشعيرة بين المسلمين لبركتها ولعظيم شأنها ولما تضمنته من الدعاء: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

فقوله: (السلام عليكم): دعاء بالسلامة من الأمراض من الأسقام من الآفات من الابتلاءات والشرور.

وقوله: (**ورحمة الله**): رحمته عليكم هدايته رزقه توفيقه إعانته حفظه كلاءته وكل ما تضمنه معنىٰ الرحمة.

وقوله: (**وبركاته**): يبارك لكم في الأموال والأولاد والعلوم والصحة والأوقات وغير ذلك، فإذا استجاب الله هذه الكلمة وهذه الدعوة التي نكررها كل صباح ومساء، كم فيها من الأجر العظيم ولا تقل: السلام عليك ولكن: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهكذا شرع الله لأهمية السلام أن نسلم علىٰ المسلمين جميعًا بل علىٰ عباد الله الصالحين في الصلاة: «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ**»، فإنه إذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض.

ثم إذا انتهيت من صلاتك، تقول: (السلام عليكم ورحمة الله عن يمينك، السلام عليكم ورحمة الله عن يسارك)، هذا دليل علىٰ فضيلة هذه الشعيرة وإلا لخُتمت الصلاة بغير السلام لكن دليل علىٰ فضيلتِها لا تتحل من هذه العبادة إلا بالسلام تسلم علىٰ المؤمنين وتدعوا للمؤمنين وتسلم علىٰ نبيك الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [سورة الأحزاب:٥٦].

واذا سلم المؤمن علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قد جعل الله ملائكة تبلغهُ من أمته السلام ومن الخطأ اعتقاد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يسمع السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢].

فإن هذا الخطأ جر كثير من الناس إلىٰ دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من دون الله ويطلبون منه الشفاعة وغير ذلك من الطلبات وإنما المعلوم إن لله ملائكة تبلغهُ من أمته السلام وهو في حياته البرزخية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [سورة الأحزاب:٤٤]، وهكذا إذا دخلوا الجنة سلموا عليهم الملائكة وسلموا علىٰ أنفسهم وسلم عليهم ربهم: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [سورة يس:٥٨]، ولما دخل الملائكة علىٰ إبراهيم سلموا عليه: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾ [سورة الذاريات:٢٥].

هذه شعيرة عظيمة لا بد أن تُشاع وتُذاع وتُطبق مع الصغار والكبار، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إذا لقي الصبيان سلم عليهم، وهكذا حتىٰ علىٰ النساء إذا أمنت الفتنة، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مر علىٰ رفقة من الأنصار من النساء فسلم عليهنَّ إذا أمنت الفتنة، أما إذا كان سيُجر إلىٰ الفتنه فيُغلق باب الفتنة،

وعند الاتصال أيضًا المتصل ينبغي أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو: السلام عليكم والمجيب يقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

أما كلمة: (ألو أو هلو) أو نحو ذلك فلا، وإذا لم يسلم تقل لهُ: نعم إذا لم يسلم تقل لهُ: نعم مرحبًا ونحو ذلك من الألفاظ، وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ**»، متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [سورة التوبة:٧١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [سورة آل عمران:١١٣]، وذكر أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولعنَ بني إسرائيل لتركهم لهذه الشعيرة العظيمة، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

ولقمان عليه السلام يوصي ولده بالأمر بالمعروف، قال تعالىٰ: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة لقمان:١٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣]، قال الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة الأعراف:١٦٥].

فمن المهمات ومن الفضائل العظيمات: الأمر بالمعروف ومبدأهُ التوحيد وأدناهُ إماطة الأذىٰ عن الطريق، والنهي عن المنكر وأشدهُ الشرك وأدناهُ البُصاقة تكون في المسجد لا تدفن، فلا بد للمسلم أن يحقق شعيرة الأمر بالمعروف ما استطاع لذلك سبيلًا، قال صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هكذا يقول رسولنا صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، مبينا مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلامة للأمة من العطب والهلكة، قال النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدودِ اللهِ، والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ، فصارَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا».

وهذا رد علىٰ من يقول بأنه حر في نفسه فعصيته قد تؤدي إلىٰ ضرر نفسه و إلىٰ ضرر غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة فاطر:٤٥]، وقد ذكرَ في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [سورة البقرة:١٥٩]: أن العصاة قد تلعنهم حتىٰ الخنافس والدود ونحو ذلك بسببهم يمنع القطر ويُحبس وبسببهم ينزل البلاء فلذلك تعينَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقوية أهل الإيمان علىٰ إيمانهم ولردِ أهل الإجرام عن إجرامهم.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدين الذي بعث فيه جميع الأنبياء والمرسلين والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

والأمر بالمعروف النهي عن المنكر أمر القرآن وأمر السُنة وإجماع السلف.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علاج الأمة فلو ترك الناس هذا العلاج وهذا الدواء يوشك أن تتسلط عليهم الأهواء والبدع والخرافات ويفشو الشر وربما ظنهُ الناس معروفًا، لعدم المنكرين له.

ومن أمثلة ذلك: ما فشا في البلاد الإسلامية من تجصيص القبور وبناء القباب عليها وشد الرحال لزيارتها، فإن الأمر قد فشا جدًا حتىٰ

ظنهُ الناس أنهُ هو الدين الذي بعث بهِ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا من بصرهُ الله عَزَّوَجَلَّ بدعوة التوحيد والسنة وفهمهُ للكتاب والسنة.

وهكذا قد تجد في بعض البلدان فشو الاختلاط والتبرج وسماع الأغاني والسفور ولا يعلمون بحرمتها وربما تعاطوها أنها من العادات التي لا محضور فيها فإذا وجد من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، علم الناس الضرر الواقع في هذهِ المعاصي الكبيرة والفتن العظيمة، بل لقد مرت علىٰ الناس أحوال يظنون الساحر فقيهًا و سيدًا وشريفًا وطبيبًا ونحو ذلك؛ لعدم من يبين أحوال السحرة والمشعوذين والكهان والعرافين، وينهىٰ عن ما هم فيه من الباطل المخالف لدين رب العالمين

فإذا وجد الأمر عن المعروف والنهي عن المنكر قلَّ ذلك الشر وذهب واضمحل فإن الحق إذا جاء زهق الباطل: قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة الإسراء:٨١]، وإذا ضاع الحق أو خفت الحق انتشر الباطل وذاع؛ ولذلك كان من أسباب العذاب يوم القيامة ومن أسباب المساءلة: عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى

يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللَّهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ، وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ». أخرجه ابن ماجه.

فإذا لم تكن لديه حجة ماذا يقول؟، وأما من كان معذورًا فيقول: يا رب فرقتُ من الناس ورجوتك، خاف من الناس ورجىٰ الله، وأما أن تسكت علىٰ الباطل وأنت تستطيع أن تنكرهُ بالقول فهذا يخالف الشريعة، وإذا كان الباطل في أهلك ومن تحت يدك وتستطيع أن تغيرهُ بالكسرِ أو بالإزالةِ أو بنحو ذلك ما يحتاج إلىٰ تغيير فحسن.

وهو من الواجبات المتعينة، وهكذا يجب علىٰ أولياء أمور المسلمين أن يغيروا المنكرات بأيديهم لقدرتهم علىٰ ذلك فيمنعوا اختلاط الرجال بالنساء الأجانب ويمنعوا ما يتعلق التعاملات الربوبية، ويمنعوا ما يخالف التوحيد والسنة؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ إنما نصب الأمراء والعلماء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن هنا مسألة: وهو ينبغي لمن ينكر المنكر أن يعلم المنكر ثم ينظر إلىٰ طريقة تغييره، **فالمنكر يكون تغييره**: إما أن يزال بالكلية فيجب تغييره، وإما أن يزال ويبقىٰ ما هو أدنىٰ منه فيجب تغييره، وإما أن يزال بمثله فلا فائدة من تغييره، وأما أن يزال بأسوأ منه فلا يجوز تغييره.

ومـــن يغيـــر منكـــرًا بنكـــرِ ❁ كغاسـلِ الحـيض ببـولٍ أغبـرِ

هكذا يقول بعض أهل العلم.

وعلىٰ الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر: أن يحتسب، فإن أمرهُ بالمعروف ونهيه عن المنكر يعتبر من الجهاد في سبيل الله ومن الدعوة إلىٰ الله ومن بذل النصيحة للناس، وكل هذهِ من العبادات الجليلات التي سلكها نبينا الكريم ومن قبلهُ من الأنبياء والمرسلين وسلكها العلماء الناصحين والدعاة المخلصين، واللهُ المستعان.



الدعاء

ومن أفضل الأعمال: الدعاء، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [سورة غافر:٦٠]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [سورة البقرة:١٨٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩].

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، أخرجه الترمذي عن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وإذا تأملت القرآنَ وصحيح السنة وجدت فيه من الدعاء وأحوال الدعاء ما سُطر في مجلدات لعظيم فضله وعلو منزلته.

أولاها: أنها عبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

ثانيها: أنه دالٌ علىٰ غنىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وعلىٰ كمال قدرته وقوته وعلىٰ كمال سمعه وبصره وعلمه وإِحاطته إلىٰ غير ذلك من خصائص ربوبيته.

الثالث: أنهُ سبيل الأنبياء والمرسلين والصالحين في كل زمنٍ وحين.

الرابع: أنه سببٌ لتفريج الكرب وقضاء الحاجات ورفع الدرجات وتسهيل المهمات الذي يليه أنه السبب الذي لا ينقطع فمهما قُطع رجاء العبد في أمرٍ من الأمور لم ينقطع من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ ورجاء الله عَزَّوَجَلَّ الذي يليه أنهُ من أقوىٰ الأسباب الشرعية والقدرية في جلب المطلوب وفي دفع المرهوب إلىٰ غير ذلكَ من الدلائل علىٰ فضله وعلو منزلته.

وانظروا يا وفقكم الله كيف كانت أول سورة في القرآن إذ أنها متضمنة الثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ثم الدعاء وهذا من أسباب الاستجابة، ولما كانت منزلتها بهذه المنزلة فرض الله علينا قراتها في كل ركعة من صلواتِنا اليومية: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، ولذلك لما سئل الصحابة رضوان الله عليهم نبي الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الاستسقاء خرج بهم من المصلىٰ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»، ثُمَّ

رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّىٰ بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَىٰ النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ، أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ، أخرجه أبو داود عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

لا تيأسنَّ من الدعاء ولا تبخلنَّ علىٰ نفسك به مهما تأخرت استجابته، ومهما عظم شأن المطلوب، فيونس عليه السلام دعاء ربه وهو في بطن الحوت فستجاب الله له وسلمه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وأيوب مرض فطال مرضه وسقِم فطال سقمه عجز الأطباء عن مداواته فعند ذلك لجأ إلىٰ ربه الشافي الطبيب مناديًا له: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

وزكريا كبر سنه، ورق عظمه واشتعل شيبه ولم يكن لهُ من الولد من يرثَ النبوة فدعا الله عَزَّوَجَلَّ بالولد فإذا بربنا يستجيب لهُ دعائه

ويحقق لهُ رجائه: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾ [سورة مريم:٧].

ونوح عليه السلام آذاهُ قومه حتىٰ دعا دعوته المشهورة: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠﴾ [سورة القمر:١٠]، فستجاب الله لهُ ونصره وأغرقهم عن آخِرهم ولم يسلم إلا من كان مع نوح عليه السلام في السفينة.

ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أحاط به الناسُ يوم بدرٍ وجمعوا لهُ العدد والعدد وهو قليلٌ حاله ليس معه من الرجال إلا ثلاث مئة وتسعَ عشر ليس معهم إلا فرس واحد، ومع ذلك قام يدعو ربه ويناشدُه فاستجاب الله له وأمده بملائكةٍ يقاتلون معه ونصره الله.

وإبراهيم عليه السلام يُلقىٰ في النار ليس له من شفيعٍ ولا مدافعٍ فإذا به يدعوا الله: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [سورة آل عمران:١٧٣] فاستجاب الله له وقال: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [سورة الأنبياء:٦٩].

وسليمان عليه السلام دعا ربه أن يهب له ملك لا ينبغي لأحد من بعده فاستجاب الله له وسخر له الريح: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ [سورة سبأ:١٢].

فلا تستسهلنَّ الدعاء، إذا استجابةُ الله عَزَّوَجَلَّ يقسم به الظالمون، وينصر به المستضعفون، ويغتني به الفقراء، ويصلح به حال الأشقياء، ويصلح به الرجال والنساء، إنه أمرٌ عظيم إذا وفق له الإنسان وفق لكل خير، إلا أنه ينبغي للداعي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون متضرعًا خائفًا وجِلًا: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [سورة الأعراف:٥٥]، خوفًا أن لا يقبلك، وتضرعًا وتذللًا أن يقبلك.

وهكذا أن تكون مبتعدًا عن الحرام فإن الحرام من أسباب رد الدعاء؛ كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند مسلم: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

والدعاء له مواطن يكون فيها أفضل من غيرها:

منها: الساعة الأخيرة من الجمعة.

ومنها: الثلث الأخير من الليل.

ومنها: وبين الآذان والإقامة.

ومنها: عند السجود.

وفي كثيرٍ من الحالات: كالمسافر، وحال الصيام، ودعوة الوالد لولده، ودعوة المظلوم تستجاب وترفع ولو بعد حين، فما علىٰ الإنسان

إلا أن يسلك هذا المسلك العظيم مسلك الأنبياء والمرسلين في تضرعهم إلىٰ الرب الكريم الرحيم، وليبشر من الله عَزَّوَجَلَّ بالعطاء العظيم وبالنصر المبين وبالخير العميم وبالسلامة في دينه ودنياه، ولا يبخل علىٰ نفسه بالدعاء بصلاح الدين، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». أخرجه مسلم.

وليدعو بدعاء الجوامع، كقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٠١].

ونحنُ في ليلةٍ مباركة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ وعسىٰ أن تكون ليلة القدر فلنكثر من الدعاء في صلاح أحوالنا وأقوالنا ومآلنا، وما فيه نفع لنا وللمسلمين، والله المستعان وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.



الحب في الله والبغض في الله

ومن أفضل ما يتقرب بهِ إلى الله عَزَّوَجَلَّ لهو: (الحب في الله والبغض في الله) قال الله عَزَّوَجَلَّ كما في الحديث القدسي: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: "أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»، أخرجه مسلم.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قال الله عَزَّوَجَلَّ قَالَ الله تعالَى: وَجَبَت مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّين فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ». أخرجه أحمد عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: "هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ

أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، ثم تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢﴾ [سورة يونس:٦٢]. أخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسأل رجلٌ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: حُبُّ اللهِ ورسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَما فَرِحْنَا بمثل هذا الحديث فأنَا أُحِبُّ الله ورسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأَبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ.

وجاء رجلٌ إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! إني أُحب فلان قال: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «فأعلِمْهُ»، قال: فذهب إليه فأعلمه فقال: أحبك الله الذي أحببتني فيه.

فالحب في الله والبغضُ في الله من أوثق عرىٰ الإيمان ومن أعظمِ مسائلِهِ العظام، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». متفق عليه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحب في الله علامة الإيمان ودين الإحسان، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ

لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ». أخرجه النسائي عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الحب في الله سبيل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، قال: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ». متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعن عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَىٰ جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا. متفق عليه.

وهكذا عاش الصحابة علىٰ الحب والود وصفاء القلوب وسلامة الصدور علىٰ بعضهم؛ ولذلك أمتدحهم الله بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [سورة الفتح:٢٩]، وقد آخىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار حين نزل المدينة لعظيم ما بينهم من الحب حتىٰ لقد كانوا يتوارثون الأموال فيما بينهم، وبذل الأنصار الغالي والنفيس للمهاجرين محبة فيهم، فينبغي للمسلم أن يكون حبهُ لله وبغضه لله.

قال العلماء في ضابط الحب في الله: لا يزيدهُ عطاء، ولا ينقصهُ منع، هذا هو الحب في الله؛ قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ

اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ». متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعم عباد الله فينبغي أن نتحلىٰ في هذهِ الصفة العظيمة والمنة الكريمة، وأن ندعو الله عَزَّوَجَلَّ في صفاء القلوب وسلامة الصدور لاسيما علىٰ الصالحين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر:١٠]، ولعظيم المحبة في الله حرم الله عَزَّوَجَلَّ كل ما يؤدي إلىٰ إفسادها فمنع من التنافس المفضي إلىٰ الفساد ومنع من سوء الظن ومنع من الحسد، ومنع من التهاجر والتقاطع والتدابر، بل منع أن يخطب الرجل علىٰ خطبة أخيه أو أن يبيع علىٰ بيع أخيه وحرم الهجر فوق ثلاث كل ذلك حفاظًا علىٰ الأخوة الإيمانية والمحبة الربانية، فهي درجة عظيمة، لكن من الذي يُحب لله ومن الذي يُحب في لله؟، ما أكثر ما نكرر هذهِ الكلمة: نُحبك في الله، وإذا ما وقع أدنىٰ أدنىٰ إساءة ولو كانت علىٰ سوء ظن من أحدهما وإذا بالتنافر والتقاطع والتهاجر والتدابر وإفشاء الأسرار والطعن في المجالس العامة والمجالس الخاصة.

الحب في لله: أن تفرح بما آتاهُ الله، وأن تسعىٰ في زيادة الخير إليه وفي أصالهِ إليه وفي تثبيتهِ عليه الحب في الله، يبقىٰ مع صاحبهِ في دنياه وآخراه،

قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩﴾ [سورة الزخرف:٦٧-٦٩]، محبة في الله بل جاء في أحاديث الشفاعة أن الله عَزَّوَجَلَّ حين يدخل المؤمن الجنة يبحث عن أخيهِ في الله وعن حبيبهِ في الله: «يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا»، فيشفعُ أحدهم في أخيه حتىٰ يرفعهُ الله عَزَّوَجَلَّ الدرجات العظيمات والأماكن الكريمات.

الحب في الله طمأنينة في الصدور، وسلامة للقلوب، وراحة للأذهان والأبدان، ونصرة علىٰ طاعة الرحمن، وزيادة في الإيمان، وطريق الإحسان، فنسأل الله أن يجعلنا من يحب فيه ويبغض فيه، يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا

فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ». متفق عليه.

ومن أسباب محبةِ الله للعبد: حب العبد للمسلم في الله، ثم يوضع لهُ القبول في الأرض، فإذا أردت أن تكون مقبولًا عند أهل السماء وعند أهل الأرضِ فلتكن محبتُكَ لله وليكن بغضك لله، والله المستعان.



عمارة المساجد

ومن أفضل الأعمال: (عِمارة المساجد)، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النور:٣٦-٣٨].

المساجد هي أحب البقاع إلىٰ الله؛ كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «أَحَبُّ البِلَادِ إلى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى اللهِ أَسْوَاقُهَا». أخرجه مسلم. عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

المساجد في فضلها: أنها بيوت الله، وأضيفت أليه تشريفًا وتكريمًا، وكانت لهُ من حيث ما يكون فيها، فقد بال أعرابي في المسجد، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْقَذَرِ وَالْبَوْلِ وَالْخَلَاءِ، إِنَّمَا هِيَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ»، أخرجه أحمد.

ولما كان شأنها أنها بيوت الله، كانت فضائلها كثيرة في إيقاف الأرض لها، فهي من الصدقات الجارية في بناءها، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي

بِهِ وَجْهَ اللَّهِ – بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من بنَى مسجدًا للهِ كمَفحَصِ قَطاةٍ أو أصغرَ بنَى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ»، فمن بنىٰ مسجدًا لله صغيرًا أو كبيرًا واسعًا أو ضيقًا في مدينةٍ أو بادية بنىٰ الله لهُ بيتًا في الجنة؛ لكن ينبغي أن يكون المسجد لله لا يُبنىٰ لنصرةُ طريقة مبتدعة ولا لطريقةٍ حزبيةٍ مخالفة، وإنما يُبنىٰ لإقامة التوحيد وإقامة الصلاة وإظهار السنة وإقامة الشعائر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة:١٠٧-١٠٨]، فالمسجد ينبغي أن يُقام علىٰ تقوىٰ الله من أول يوم، يُبنىٰ لله ولإظهار دينه وشريعته وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولإشاعةِ العمل بمنهج السلف الكرام والأئمة الأعلام رضوان الله عليهم فلا يكون في المساجد الموالد المبتدعة ولا الأمور المخالفة للشرع، فقد نهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن إنشاد الضالة في المسجد وقال: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن البيع والشراء في المسجد وقال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ»، أخرجه الترمذي، فكيف بمن جعل المساجد مأوىٰ للبدع والخرافة والمخالفة لدين الله عَزَّ وَجَلَّ.

فالمساجد مع عظيم فضلها لا بد من العناية بها، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما أُمِرْتُ بتشييدِ المساجِدِ»، أي: الزخرفة لها، قال ابنُ عبَّاسٍ: "والله لَتُزخرِفُنَّها كما زخرَفَتِ اليهودُ والنَّصارىٰ".

وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحذر من إدخال القبور في المساجد «إنَّ مِن شِرَارِ النَّاسِ مَن تُدرِكُهُمُ السَّاعَةُ وهُمْ أَحياءٌ والَّذين يتَّخِذون القُبورَ مَساجَدَ».

وحذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من تلويث المساجد فقد عزل إمامًا لِنخامة جعلها في قبلة المسجد، وقد حكىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ النخامة بشيء أخذه بيده حفاظًا علىٰ نظافة المساجد والعناية بها، حتىٰ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يذكر عنه: "تصان المساجد عما تصان منه العين من الأذىٰ ونحو ذلك".

وأيضًا في الخُطىٰ إلىٰ المساجد كم من الأجور، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ في جماعةٍ تزيدُ عَلَى صَلاَتِهِ في سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وعِشْرينَ دَرَجَةً، وذلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ،

ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِد لا يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لا يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، لَمْ يَخْطُ خُطوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِها دَرجةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطيئَةٌ حتَّى يَدْخلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاةُ هِيَ تحبِسُهُ، وَالْملائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسهِ الَّذي صَلَّى فِيهِ، يقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مالَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ».

أين تجد هذه الأجور؟! إلا في المساجد الخطىٰ إليها حسنات ودرجات وتكفير للسيئات، والجلوس فيها صلوات وطاعات، وسبب لاستغفار ملائكة الله لك أيها العبد زد علىٰ ذلك أن رجوعك من المسجد إلىٰ بيتك يدخل في هذا الفضل، قال رجلٌ: يا رسول الله! إني أحتسبُ ذهابي إلىٰ المسجد ورجوعي إذا رجعتُ إلىٰ أهلي، قال: «**إن لك ما احتسبت**». وجعل الله عَزَّوَجَلَّ العكوف خاصًا بالمساجد لعظيم فضلها: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، فقد اعتكف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ في مسجده وهكذا قال: «**لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاث**» أي: اعتكاف أفضل وأزكىٰ وأجمل من الاعتكاف في مسجد مكة لفضله ولمضاعفة الصلاة فيه وفي مسجد المدينة لفضله ومضاعفة الصلاة فيه، وفي مسجد بيت المقدس لفضله ومضاعفة الصلاة فيه، وإلا فإن الاعتكاف يصح في جميع المساجد إلا ما كان مما

يسمىٰ مساجد الدور مساجد النساء مكان تتخذه في بيتها أو رجل يتخذ في بيته مكانًا لصلاته فهذه لا تشمله هذه الأحكام.

وهكذا تقام في هذه المساجد المحاضرات والخطب والدروس وقد كان مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مقرًا لسياسة الدولة الإسلامية منه يجهز الجيوش ومنه خرج القادة ومنه خرج السادة ولذلك لما نزل المدينة أول ما بدأ به بناء المسجد بل شاركهم بنفسه الشريفة وكان يقول مرتجزًا معهم:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ❁ ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلنَّ سكينة علينا ❁ وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولىٰ قد بغوا علينا ❁ وإن أرادوا فتنة أبينا

وهكذا لمَّا امتلأ المسجد وسعه عمر ثم وسعه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما زالَ الناس يتبارون في توسعته حتىٰ بلغ المبلغ الذي هو عليه الآن، نعم عباد الله فعناية المسلمين بالمساجد من الأمور المهمة الدالة علىٰ تأسيهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ تعظيمهم علىٰ شعائر الله، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج:٣٢]، وأنت يا من لم تتمكن من تلك الفضائل قد جعل الله لك ما تصل إليها منها المجيئ إلىٰ المساجد لطلب العلم والجلوس فيها

للاعتكاف، وشهود الجماعات والجُمع، والتعاون علىٰ الخير وعلىٰ الدعوة إلىٰ غير ذلك من الأمور التي تقام في المساجد، وتصان المساجد عمىٰ يؤدي إلىٰ التشويش علىٰ المصلين فيها من أذية الصغار من أذية المجانيين من وضع الأذىٰ والقذر فيها وتصان كذلك من رفع الأصوات إلا لحاجةٍ، وتصان من البيع والشراء فيها، وهكذا إنشاد الضالة، وإنشاد الشعر السيء، أما الشعر الذي هو لنصرة دين الله ولنصرة سنة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقد كان يُنشد في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ولا يجوز للإنسان أن يُصلي في بيته ويمكنه الوصول إلىٰ المسجد، وإن صلىٰ في بيته فصلاته صحيحة مع الإثم، وتضييع الفضل الذي جعله الله عَزَّوَجَلَّ لمن شهدَ الجماعات، وقد قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»، مع أنه لا يجب عليهنَّ حضور المساجد وإنما يُستحب.



الطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم

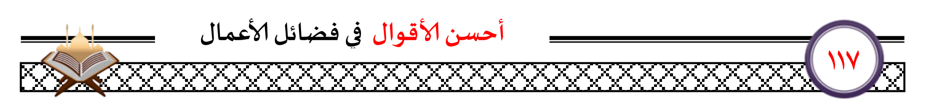
والشامل لفضائل الأعمال: (الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)؛ فإن الله امتدح المؤمنين بذلك فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [سورة التوبة:٧١]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [سورة النور:٥٢]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [سورة آل عمران:١٣٢]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧١]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [سورة النساء:٨٠]، ويقول: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩]، وفي الحديث: «مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ»، أخرجه مسلم، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، أخرجه البخاري.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [سورة النساء:١٣].

وكم هي فضائل طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فإن التزام هذا الأمر ظاهرًا باطنًا من أعظم أسباب الرفعة في الدارين، وارتقىٰ الصحابة إلىٰ ذلك المكان العالي والأمر السامي بسبب طاعتهم لله ولرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حتىٰ قدَّموا طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ علىٰ كل طاعة وعلىٰ كل شأن من شؤونهم.

فإذا أردت أن تدخل في جملة الفضائل، فانظر إلىٰ أوامر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فالتزمها وانظر إلىٰ نواهي الله عَزَّوَجَلَّ ونواهي رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فاجتنبها، طاعة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو السيد الذي يجب أن يُطاع فلا يُعصىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسىٰ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فقد ارتقىٰ أناس بالطاعات إلىٰ أعالي الدرجات وذل أناس وصاروا في الدركات بسبب بعدهم عن الطاعات.

فاختر لنفسك يا هداك الله! السبيل الذي يؤدي بك إلىٰ مرضات الله فتنتفع أو غير ذلك فتضر، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [سورة الكهف:٢٩]، هذا ليس علىٰ التخيير وإنما هو علىٰ التهديد، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ



وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [سورة الكهف:٢٩]، وكان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، حسن الطاعة لله وحسن المتابعة لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

فأسأل الله أن يعيننا علىٰ طاعته، وعلىٰ ذكره وشكره، لعل هذا يكون آخر درس في هذا رمضان لعام ١٤٤٤هـ، الله المستعان.



الفهرس